# البرهان المؤيد

للإمام الرّباني الشيخ أحمد الرفاعي

و

# أسس بناء التصوف الإسلامي

للشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان

طبعة محققة ومصححة ومزيدة

مؤسسة السيروان

قطري بن الفجاءة
للطباعة والنشر

دراسة وتحقيق
الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان

# البرهان المؤيد

للإمام السيد أحمد
الرفاعي رضي الله عنه
٥١٢ - ٥٧٨ هـ

# أسس بناء التصوف الإسلامي


مؤسسة السيروان
للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع
بيروت . دوحة . دمشق

قطري بن الفجاءة
للطباعة والنشر

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

طبعة مزيدة ومحققة

موافقة وزارة الإعلام ٢٧٠٨٨

تاريخ ١٩٩٦/٤/٨

يطلب من المحقق

دمشق - ص.ب ٣٤٩١٠ - هاتف ٥٢١٦٨٨٥

# الإهداء

إلى

والدي ووالدتي

رب اغفر لي ولوالدي

رب ارحمهما كما ربياني صغيرا

عبد العزيز

## [صفة الصوفيين]

أي سادة: الفقير على الطريق مادام على السُنَّة، فمتى حاد عنها زلَّ عن الطريق.

قيل لهذه الطائفة: الصوفية، واختلف الناس في سبب التسمية؛ وسببها غريب لايعرفه الكثير من الفقراء، وهو أنَّ جماعة من مُضر يقال لهم: بنو الصوفة، وهو: الغوث بن مُرّ بن أدّ بن طابخة الربيط، كانت أمه لايعيش لها ولد، فنذرت إن عاش لها ولد لتربطن برأسه صوفة، وتجعله ربيط الكعبة، وقد كانوا يجيزون الحاجَّ، إلى أن مَنَّ الله بظهور الإسلام، فأسلَموا وكانوا عبّاداً، ونُقِلَ عن بعضهم حديث رسول الله ﷺ.

فمن صحبهم سُميَ بالصوفي، وكذلك مَن صحب مَن صحبهم، أو تعبَّد ولبس الصوف مثلهم، ينسبونه إليهم، فيقال: صوفي.

ونوَّع الفقراء الأسباب، فمنهم من قال: التصوف: الصفاء؛ ومنهم من قال: المصافاة؛ وغير ذلك.

وكلُّه صحيح من حيث معناه، لأن أهل هذه الخرقة، التزموا الصفاء والمصافاة، وعملوا بالآداب الظاهرة، وقالوا: إنها تدل على الآداب الباطنة؛ وقالوا: حُسن أدب الظاهر، عنوان أدب الباطن؛ وقالوا: من لم يعرف أدب الظاهر، لايُؤتمن على أدب الباطن.

كل الآداب منحصرة في متابعة النبي ﷺ، قولاً وفعلاً؛ وحالاً وخُلُقاً، فالصوفي: آدابه تدل على مقامه؛ زِنوا أقواله وأفعاله، وأحواله وأخلاقه؛ بميزان الشرع، يُعلم لديكم ثقلُ ميزانه وخفته، خُلُق النبي ﷺ القرآن، قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾. [الأنعام: ٣٨].

# مقدمة التحقيق

أحمد الله تعالى حمد الشاكرين على عظيم نعمائه، وكثير عطائه، وجميل بلائه وأسأله أن يهدينا الصراط المستقيم، ويورثنا الجنَّة نتبوَّأ منها حيث نشاء، وأن يجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، ونور أبصارنا، مرتَّلاً بألسنتنا، معمورةً به جوارحنا. وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها، وأن نلقاه وهو راضٍ عنَّا

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، واغفر لنا ذنوبنا، وسدِّد خطانا، واجعلنا من عبادك الذين يبلِّغون رسالاتك ويخشَوْنك ولايخشَوْن أحداً سواكَ وكفى بالله حسيباً، وبعد:

فهذا كتاب «البرهان المؤيد» هو الأول من كتب السيد الإمام أحمد الرفاعي من حيث المكانة والانتشار والمعرفة بين العلماء والناس، وهو مجموعة خطب وعظيّة ألقاها إلى طلابه ومريديه، في مناسبات عديدة، وقد سجّلها بعض النسّاخ، وتناقلتها بعد ذلك الأيدي إلى أن وصلتنا على شكل كتاب.

ونظراً لقيمته التوجيهية، وقوة تأثيره بالسامعين، ومنزلة مؤلفه الروحية العالية، وسمعته العظيمة بين العلماء والعامة والمريدين، وخاصة رواد الطريقة الرفاعية، لذلك كثُر الطلب إلى طبع الكتاب منذ ظهور المطابع في بلادنا (انظر: طبعاته ص١٩)، وكانت الطبعة الأولى سنة١٨٨٥م عن مخطوط قديم نسبياً محفوظ في إحدى مكتبات استانبول، لم يتسنَّ لنا الاطلاع عليه أو على غيره، فاكتفينا بمقابلة النسخ المطبوعة، ومتابعة التحقيق بجعلها أساساً يُعتمد عليه.

ولايخفى على الباحثين كم يكون الأسف شديداً إذا فُقدت مخطوطات الكتاب من أغلب مكتبات العالم التي تمكَّنا من الحصول منها على صورة عنه، وخاصة من مكتباتنا في القطر العربي السوري حيث لدينا مخطوطات أُمهاتِ الكتب، وما عزَّ ونَدَرَ من تصانيف العلماء، وقد شمل بحثي: فهارس المكتبة الظاهرية وفهارس مكتبة الأسد الوطنية، وفهارس المكتبة الأحمدية، وغيرها من مكتبات القطر.

وتعود أهمية الكتاب ومكانته العالية في قلوب الأتباع والعلماء والعامة إلى عدة أسباب منها:

١ـ أن مواعظه وإرشاداته تمسُّ شغاف القلوب فتؤثِّر بها، وتُحيلها إلى سلوك سُبل الهداية

والخير والفلاح، وتطهّر النفوس من علائق الدنيا المحرّمة والمشبوهة، وتزكّيها وتدفعها إلى الاستزادة من التقرب إلى الله تعالى بالعبادة والتقوى والخُلُق الكريم، والتزام الشرع الحنيف في كل صغيرة وكبيرة.

٢ـ أن موضوعاته واضحة وبسيطة يفهمها كل انسان، بعيدة عن التعقيد، خالية تقريباً من الاصطلاحات والكلمات ذات المباني العويصة، والمعاني الغريبة، بل جاءت تُحاكي أحوال الناس وثقافتهم العادية، وطرقهم، ومعايشهم، وكيف يجعلونها على مناهج القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

٣ـ ان استشهاداته بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وبآثار الأنبياء والعلماء والفقهاء والقصص المؤثرة يكاد يكون عند كل إرشادٍ أو موعظة أو توجيه.

٤ـ أنه انطلق من ثوابت فكرية تجمع القلوب، وتلين النفوس، وتذيب التعصب والتطرف، وتُعيد الانسان إلى ذاتِه ليبدأ بها فيطهرُها ويضعها على الصراط المستقيم بتوبةٍ خالصةٍ نصوح. ثم يُعاود الطريق إلى الله تعالى بصفاءٍ وخشوع وعلمٍ وتقى أكثر.

٥ـ أنه بثَّ عقيدته وأفكاره بصراحة ووضوح، ووضع القواسم المشتركة التي تُنهي الكثير من الخلاف، وبيَّن مكامن الداء في الفُرقة بين المسلمين، ووصف الدواء، وعدَّ النفسَ الأمارة بالسوء، والهوى، وحبَّ الذات من الدوافع الأساسية لكلِّ خلافٍ أو بُعدٍ عن اتّباعِ منهجِ الشريعة الاسلامية وطريقة السلف رضوان الله عليهم، وأكدَّ أن العلم الشرعي فقهاً وفهماً والتصوف الاسلامي بالسير على المنهج النبوي الشريف هما جناحان لوصول كل مسلم إلى بغيته في رضاء الله تعالى والجنة.

ولا أرى من داعٍ إلى الاسترسال في بيان أهمية الكتاب وميِّزاته، فالقارىء الواعي لابُدّ له من اكتشاف ذلك. لكنني سألمح بعجالة بسيطة إلى دُرَرٍ نفيسةٍ أساسية أرادها المؤلف لكنها جاءت متفرقة في أماكن عدة بطريقة عفوية غير مبوَّبة وضَح فيها السيد الرفاعي: مابني عليه أساس التصّوف الاسلامي، وسأوردها ملخّصة مرتَّبة ومُعَنْوَنَة عسى أن تُلقي الضوء إلى أهم ماأراده من خطبه وإرشاداته:

# أسس بناء التصوف الإسلامي

ما بنى عليه أساس التصوف: وهو أن جميع أهل العلوم قد قصَّر كلّ واحد منهم عن استعمال علمه ورضي بتعلّمه ودرسه ونسيَ حقائق واجبه.

وإن أغلب الفقهاء تعلّقوا برُخَص العلم، فجمعوا المال وتعرّضوا للرياسة، واتّبعوا الشهوات، فرغبوا في الدنيا وغفلوا عن حقائق الفقه، إذ يقول المصطفى ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ: «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً فقّهه في الدين وزهّده في الدنيا وعرّفه عيوبَ نفسه» فأبان ـ أنّ التفقّهَ تفقّد عيوب النفس وتعرّف حقائق خفيّها ودقائق أحكامها وأسباب هواها.

والعالم عالمان: عالم الدنيا وعالم الآخرة، فأمّا عالم الدنيا فهو يصير بالقال والقيل، وأمّا عالم الآخرة فهو من تفكّر في القرآن، فأحلّ حلاله وحرّم حرامه وعمل بمحكمه وآمن بمتشابهه، وتفكر في آياته فأسهر ليله وأظمأ نهاره، واشتاق إلى لقاء ربّه عزّ وجلّ، فهذه حقائق الفقه تحقق بها قليل من العلماء أو تورّعوا عن غيرها، فأدّوا حقّ العلم بالإمساك عن الدنيا والرضى بالبُلْغَة، والباقون علومهم حجّة عليهم.

فالقرّاء تحفّظوا القرآن فتفاخر بعضهم على بعض، ولم يشتغلوا بتعرّف معانية واستعمال ما فيه، فأكلوا به الدنيا وأحكموا ذلك ليقال: فلان قارىء حسن القراءة، فزيّنوا أصواتهم بذلك ونادوا في محاريبهم، ورقّقوا طباعهم للسامعين، فنالوا بذلك الدنيا، وطلبوها بقراءة القرآن، وقد قال النبي ﷺ: «أكثر منافقي أمّتي قرّاؤها».

ثم قليل منهم تعلّقوا به آناء الليل والنهار، فأحلّوا حلاله، وحرموا حرامه، واشتغلوا بقراءاته سرّاً وجهراً، فقرؤوا لأنفسهم واستمعوا وأصغوا إلى حقائق ما فيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد، فأولئك أهل الله وخاصّته، والباقون القرآن حجّة عليهم، وخصمهم يوم القيامة.

ومن علماء العصر مَنْ إذا نظرت إلى أشكالهم وأحكامهم ترى ظواهرهم

مخالفةِ للأثر، فلباسهم مخالفاً للسنَّة برقَّته وفخامته كأنّه لباس الخُيَلاء، وقد قال الفُضَيل بن عياض ـ رحمة الله عليه ـ لَكثير من علمائكم زيّه أشبه بزيّ كسرى وقيصر.

وإذا رأيت طعامهم تراه من شتات الألوان، وجلوسهم مع الأغنياء لطلب الرياسة، وإعراضهم عن الفقراء، سعيّهم في طلب الدنيا الدنيّة وشهواتها الرديئة، غلبات أوقاتهم جمع المال والغضّ عن شبهاتها، فلمّا رأيت ذلك تفقدت كثيراً من أحكامهم وأسبابهم، فرأيتها مخالفةً للعلم من الرغبة في الدنيا وحبّها وجمعها، وقد قيل في الخبر: حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة».

قال أحد المؤمنين حقاً ثم إنّي جمعت فهمي، ومددت طَرْفي، وميّزت بعلمي وفهمي، واجتهدتُ في استنباطي، وقايستُ بعقلي، وقابلتُ الكتاب والسّنّة على مبلغِ علمي، فلم أرَ أقواماً أمسك بالسنّة ظاهراً وباطناً وسِرًّا وجهراً وعقداً ونيّةً واستعمالاً من الصوفيين الأصلاء الزاهدين فتحققت جميع أحكامهم، ظاهرهم وباطنهم، فوجدت جميع ذلك موافقاً للكتاب والسنة.

ولقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنّه قال: «إنّ ملوكَ الجنّة كلّ أشعثَ أغبرَ ذي طِمرين، لا يؤبَه له، لو أقسم على الله لأبرّه».

لأنهم وافقوا الله عزّ وجلّ في بغض الدنيا. وجذبوا أنفسهم عن رقّها، وبذلوا لله عزّ وجلّ المُهَج، فلم يجدوا في جنب الله عزّ وجلّ لأنفسهم مقداراً، وحفظوا لله عزّ وجلّ مافي الطوّية أسراراً، لا يسمعون إلاّ بالله، ولا ينظرون إلاّ بالله، ولا يبطشون إلاّ بالله، ولا يتحركون إلاّ بالله، وقد رُوي عن النبي ﷺ أنّه قال: «إنّ الله عزّ وجلّ قال: مازال عبدي يتقرّب إليَّ بالنوافل حتى أحِبّهُ، فإذا أحببته كنتُ له سمعاً وبصراً ويداً، فبي يسمع وبي يُبصر وبي يبطش» فهذه حقيقة أهل المحبّة وأحكام الصوفيّة الحقيقية في حركاتهم، ثم أحوالهم تعلو عن الوصف، وإشارتهم تعلو عن النعت، قد استوحشوا من جميع ما استعبد أهل الغرور، واستأنسوا بالله عزّ وجلّ، فإن خافوا: خافوا الله تعالى، وإن رجَوا رجوا الله تعالى، وإن افتقروا افتقروا إلى الله تعالى، وإن استغنوا استغنوا بالله عزّ وجلّ، وإن تعلّقوا بالله وحده، فخالفوا في جميع أحكامهم أهل الدنيا.

والصوفيون الحقيقيون هم الذين استعملوا بالجهد والجدّ ظاهر العلوم من الفرائض، فأورثهم الله عزّ وجلّ علماً من غير تعلم، وهُدىً بغير هداية، وعلامة الحقيقة: الولاية، وبذلك عرفوا جميع أسباب الولاية، وتقرّبوا إلى الله عزّ وجلّ بالنوافل بحقيقة الطوية، وصبروا على المكاره بمخالفة النفوس، فأقامهم الله تعالى على شرائع دينه، وأعمل جوارحهم بالطاعات، وزيّنهم بالعلم، وفقّههم في الدين، وعرّفهم معايبَ النفوس، ثم أدّبهم للخدمة لأداء حقيقة الدين، فتشمّروا عن الأسباب الشاغلة، والعلائق القاطعة، وانفردوا بالعلم السنيّ، والعيش الهنيّ.

فهم بذكره يتنعّمون، وبفضله يفرحون، قد رضوا من الدنيا بالقِلَّة، وجعلوا الأسباب كلّها علّة، وتعزّزوا بالله عزّ وجلّ، إن نطقوا: نطقوا بالعلم، وإن سكتوا: سكتوا بالعلم، وإن جلسوا: جلسوا بالعلم، وإن قاموا: قاموا بالعلم، وإن لبسوا: لبسوا بالعلم، وإن أكلوا: أكلوا بالعلم، وإن تنافروا: تنافروا بالعلم. وإن اجتمعوا: اجتمعوا بالعلم وللعلم. وإن تفرّقوا: تفرقوا بالعلم، ثم سائر أخلاقهم ورسومهم موافقة للعلم، قد شغلوا جميع جوارحهم بموافقة السنّة، فهم أشبه الناس بالسّلف، بل هم أهل السّلف، لأنّ جميع أحكام أسرارهم موافقة لِما وصف الله عزّ وجلّ به المؤمنين المخلصين في عزيز كتابه، لأنهم أهل القلوب الذين يعرفون أحكامها ومواريدها، وخطراتها، ووساوسها، ولحظاتها، وإشاراتها، وخفيّات سرائرها، ويعرفون اختلاف الورود بمشاهدة الوجود، فيفرّقون بنور المشاهدة بين إلهام الحقّ ووسوسة الشيطان، وهواجس النفوس، ثم يعرفون أحكام الدنيا باللحظات، وأحكام الآخرة بالخطرات، وأحكام الحقّ بالإشارات، وكلّ ذلك ممّا سبق إلى أسرارهم من الهداية فبنور الهداية ينظرون، ويفكرون ويعملون

## أساس التصوف

فأوّل ما بُني عليه أساس التصوّف من حيث العلم والطلب والتميز: الفقر: فذلك أنّ الله عزّ وجلّ خَصّ نبيّه ﷺ بالفقر، وأبان شرفه فقال عز وجلّ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا

فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين﴾ [٢٨/ ٨٣]، وقال عزّ وجلّ: ﴿أُوْلَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [٢٥/ ٧٥]، قالوا: على الفقر، ويروى عن ابن عبّاس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَاب﴾ [٣٩/ ١٠]، قال: نزلت في الفقراء خاصةً، فقالوا لابن عبّاس: زيّنت الفقراء؟ فقال: كذلك قال النبي ﷺ: الفقر أزينُ على المؤمن من العِذار الجيّد على خدّ الفرس، وروُي عن النبيّ ﷺ أنه قال: أوّل تحفة المؤمن الفقر، وشرف الفقر لا يعدّ، والفقر مطيّة الأنبياء والصدّيقين والأبرار، وقد أبلى الله عزّ وجلّ به الأخيار وزيّن به الأولياء والأبرار، وذلك ما تكلّم فيه الصوفيّة وفي معانيها ورسومها، وهو ذلّ النفوس وموتها ثم عزّها وحياتها، وللصوفيّة في الفقر إشارات وأحكام، واسم الفقر يجمعهم.

والمعنى الثاني من الفقر ما استعاذ منه رسول الله ﷺ فقال: «اللهُمَّ إنّي أعوذ بك من الفقر» وذلك فقر القلب والجوارح إلى ما سوى الله، وبيان ذلك أنّ النبيّ ﷺ كان لا شكَّ مُستجابَ الدعوة، وكان يستعيذ من الفقر، وكان عيشه في الفقر، وكانت أوقاته مراعاة للفقر، وكان سؤاله حقيقة الفقر والحشر مع الفقراء، ولو كان حقيقة الفقر ما استعاذ منه، ولما كان يجوع يوماً ويشبع يوماً. ولما خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز بُرٍّ.

ومما بنُي عليه أساس التصوف: الزهد، وله ظاهر وباطن وحقيقة، فظاهر الزهد الإعراض عن الدنيا ولذّاتها والاجتناب عن غوائلها وأسبابها، وباطن الزهد إفراد الهمّة وتجريد القلب، والزهد فيما يشغل عن الله تعالى، فالصوفيّة اختاروا الزهد إذ أعْلَمَ الله عزّ وجلّ الخلقَ أنّ الدنيا لعب ولهو، فقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّما الحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخرٌ بَينكُمْ وَتَكاثُرٌ في الأموال والأولاد﴾ [٥٧/ ٢٠] والدليل: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[٥٧/ ٢٠]، فذمَّ الراغبين فيها، والزهد ضدّ الرغبة فمن زَهِدَ في الدنيا عمل للآخرة، فحَرْثُ الآخرة بالزهد في الدنيا، وحرث الدنيا بالزهد في الآخرة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَالَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيب﴾ [٤٢/ ٢٠]، فلو لم يكن في ذمّ الراغبين في الدنيا غير هذه الآية لكفى بها، ويروى عن أبي موسى الأشعري

عن النبي ﷺ أنّه قال: «مَنْ أَحبَّ دنياه أَضرّ بآخرته، ومن أحبَّ آخرتَه أَضرّ بدنياه» فآثروا ما يبقَى على ما يفنى! وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال النبي ﷺ: من أُشربَ قلبُه حُبَّ الدنيا التاط بثلاث: شقاء لا يَنفَدُ عَنَاهُ، وحِرْصٌ لا يُبْلَغُ غِنَاهُ، وأَمَلٌ لا يُبْلَغُ مُنْتَهَاه» والدنيا طالبة ومطلوبة، فمن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يأتيه الموت فيأخذه بعنقه، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه، فالزهد في الدنيا راحة البدَن وخفة الميزان وقلّة الحساب.

وسئل الشِّبْلِيّ عن حقيقة الزهد، فقال: الزهد فيما سِوَى الله.

ومما بني عليه أساس التصوف مجاهدة النفوس وترك الشهوات ومخالفة الهوى، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [٢٩/٦٩]، قال مجاهد: هي مجاهدة النفس، وسُئِلَ رسول الله ﷺ: من المجاهد؟ قال: «من جاهدَ نفسَهَ لله عزّ وجلّ» وعن الحسن قال: قدم قوم على النبيّ ﷺ من الغزو، فقال: «مرحبًا بكم حيّاكم الله، جئتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» قالوا: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: «مجاهدة الرجل نفسَهَ وهواه لله عزّ وجلّ».

فالصوفيّة جاهدوا أنفسهم، لأنّ النفس تدعو إلى مخالفة الله عزّ وجلّ، وتحبّ ما فيه العطب والهلاك ومعاداة الحقّ، قال الله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[٣٦/٧٧]، وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾[١٢/٥٣]، فمن جاهدها وخالف هواها، عرفها بالمخالفة وعرف عداوتها وحكمها، ولا يعرف النفسَ إلاّ مَن خالفها، وبالمخالفة يعرف أخلاقها، فأمّا ذاتها فلا يعرفها غير بارئها عزّ وجلّ، ويرُوى عن أبي مالك الأشعري عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «أعدَى عدوّك نفسُك التي بين جنبيك».

## ومما بنى عليه أساسهم الأخلاق

وأمّا أخلاق الصوفيّة، فحسن الخلُق، ولين القَول، وبذل السلام، وطَلاقة الوجه، وبشاشة الشاهد، ومحبّة الفقراء، والإيثار عليهم، وإن كانوا في غاية الجهد والخصاصة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ

كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [٥٩/٩]، فالإيثار من أخلاق رسول الله ﷺ وأهل بيته وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، وقد تعلّقوا بخُلقه إذ كان عليه الصلاة والسلام أحسن الناس خلقاً، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [٦٨/ ٤] فالصوفيّة اقتدوا بالنبيّ ﷺ في كلّ شيء حتى في الخُلُق، وقد قيل: إنّ التصوّف حسن الخُلق.

وللصوفيّة في الخُلُق إشارات، وقد قال ﷺ: «إنَّ الرجل ليبلغ بحسن خلُقه درجة الصائم القائم» وذلك أنَّ المصلّي يصلّي لنفسه، وكذلك الصائم يصوم لنفسه، والخلُق الحَسن يتعدّى منه إلى غيره، فيفرح به مؤمن ويُسرّ به قلب كلّ مسلم، وقيل: انتهى الصوفيّة إلى الخلُق، وبالخلُق يرغب الكافر في الإسلام، وبالخلق يُجذَب الجاهل من الجهل، وبالخلُق يُحبَّب الله إلى الخلق، وبالخلق يُواسَى، وبالخلُق يواصَل، وبالخلُق يُدرَك جميع الخير، ولقد دعا الله عزّ وجلّ نبيّه ﷺ إلى الخلق في آيات كثيرة إذ يقول تبارك وتعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ [٧/١٩٩]، ويقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [١٦/ ١٢٥]، ويقول عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا نْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ [٣/ ١٥٩]، ويقول عزّ جلّ: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [٩٣/ ٩ـ ١١]، ثم دعا الناس كافة إلى حسن الخلُق، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ [٢/ ٨٣].

**ومما بني عليه أساسهم: السخاء**

فسخاء الصوفيّة بالبذل، فمن كريم أخلاقهم أنّهم وافقوا النبيّ ﷺ، إذ كان أسخى خلق الله في العُسْر واليُسْر، وما سأله أحد شيئاً قطّ فقال: لا.

والسخاوة أجلّ خُلق المؤمن، وذلك لقلّة الدنيا عنده، والسخاء والكرم من أخلاق المرسلين والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، ويُرْوَى أنّ الأولياء لم يتفاضلوا على سائرهم بكثرة صلاة ولا صيام، ولكن بسلامة الصدر وسخاوة النفس، والله عزّ وجلّ يحبّ الأسخياء ويبغض البخلاء، إنّ البخل والشحّ من وصف النفس الأمّارة بالسوء، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٥٩/٩] يقول لجنات عدن: لا

يجاورني فيك بخيل، ويروَى أنّ الجاهل السخيّ أحبّ إلى الله من المؤمن البخيل.

**ومما بني عليه أساسهم مؤالفة المؤمنين بعضهم لبعض ومحبّتهم وموافقتهم.**

فذلك تقديم مراد الله عزّ وجلّ فيهم، فإنّه ألّف بين قلوب أوليائه في الأصل، قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [٨/ ٦٣] فمن الألفة تكون المحبّة ومن المحبّة تكون الموافقة والمحبّة مكتسبة لقوله ﷺ: تهادَوا تحابّوا! فالمحبة مكتسبة بالهديّة، وقد قال ﷺ: جُبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها وبُغضِ من أساء إليها. فبالإحسان تُكتسب المحبّة ومن المحبّة تكون الموافقة، وحقيقة الألفة سابقة في حقيقة الأرواح، داخلة تحت تقديم المعارف، وقد قال ﷺ: «الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف».

والألفة من حقائق المؤمنين، وقال ﷺ في وصف المؤمنين: «إنّهم يألفون ويؤلَفون» ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلَف، وهي مخصوصة قدّر الله تعالى ذلك عزّ وجلّ بحكمه وعزيز نعمته، فقال عزّ من قائل: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ فالنعمة الألفة التي جمعت بين قلوب المؤمنين.

**ومما بني عليه أساسهم: المعروف**

فمعروف الصوفيّة: فمن أصل الإشفاق على بني الجنس من حُرمة الاجتماع في صُلب آدم عليه السلام، وما جعل الله عزّ وجلّ في قلوبهم من النصيحة لولد آدم عليه السلام، ثم اختار الله عزّ وجلّ الذين بذلوا النصيحة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، فقال عزّ وجلّ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [٣/ ١١٠]، فتعلّق حقيقة الاختيار باكتساب ما أمر الله عزّ وجلّ به، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [٢٢/ ٤١] وقال عزّ وجلّ في وصية لُقمان لابنه: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾

[١٧/٣١]، وقال النبيّ ﷺ: لتَأمُرُنَّ بالمعروف ولَتنهوُنّ عن المنكر أو ليبعثنَّ عليكم من لا يرحم صغيركم ولا يوقر كبيركم.»

ش٥ومما بني عليه أساس التصوف خذلان أهل البدع وترك توقيرهم وهجرانهم وذلك لنصرة السُّنَة، لأنّ الله تعالى قال: ﴿إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [٧/٤٧] فالصوفيّ قام على نصرة الدين وخذلان أهل البدع، لأن الصوفيّ مجرَّدُ فقير ليس له رعاية مال ولا دنيا، ولا يداهن أحداً من أهلها، قد رضي من الدنيا بسدِّ الجَوْعة وستر العورة، ثم لا يبالي في الله عزّ وجلّ لَومة لائم، قد كفروا في الدنيا نصرة دينه وصيانة فقره وأداء فرضه.

فالصوفيّة هم السيوف الشاهرة على أهل البدع والضلالات، بالإعراض عنهم، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [٦/٦٨] فأعَرضوا عن أهل الضلالات وهجروهم وتركوا توقيرهم ومؤاكلتهم ومشاربتهم طلباً لمرضاة الله عزّ وجلّ، وعزازة للسُّنَّة وقوّة للشريعة المستقيمة، فهم أهل الأثرة من أهل السنّة الذين ينصرون دين الله عزّ وجلّ، وهم ظاهرون منصورون.

وقد رُوي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «لا يزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ لا يضرّهم خِذلان من خذلهم إلى أن تقوم الساعة».

ومما بني عليه أساسهم: أن وطنهم المسجد وذلك لموافقة أصحاب الصّفّة، وقد قال أبو الدَّرْداء: سمعت رسول الله ﷺ: يقول: «المسجد بيت كلّ تقيّ، وقد ضمن الله عزّ وجلّ، ورُوي عن سيعد بن المسيّب أنّه قال: إنّ الّذي يجلس في المساجد فإنّما يجالس ربَّه عزّ وجلّ».

ومما بني عليه أساسهم: قلة الطعام: فإنهم لا يأكلون إلاّ قليلاً، وذلك موافقة للسنّة لقوله ﷺ: أجوع يوماً وأشبع يوماً، والغالب على الصوفيّة الجوع، ثم يأكلون على الأدب والإيثار، ويمنعون نفوسهم عن الشَّرَه والأكل بالاختيار، لأنّهم أهل الإيثار، قد أثنى الله عزّ وجلّ على المؤثرين على أنفسهم بعد وجود الجهد والخصاصة، قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ فالإيثار من أخلاقهم.

ومما بني عليه أساس التصوف: انبساط الصوفيّة، من ذلك طيبة القلب، وسهولة الجانب، وطلاقة الوجه، وحسن الخُلُق، وكتمان ما في السرّ من الأحزان وصيانة الأسرار وموافقة السُّنَّة، إذ يقول النبي ﷺ: أنا أمزح ولا أقول إلّا حقاً، فالحق من المزاح ما تعلّق به الانبساط، وقد كان النبي ﷺ دائم الأحزان منبسط الظاهر من حسن خلقه وبشاشة وجهه، وقد قال ﷺ: ألا أنبئكم بأهل الجنّة؟ قالوا: بَلى من هم؟ قال: «كلّ ليّن سهل طلق»، فطلاقة الوجه والبشاشة وبَسط الوجه ما يتعدّى إلى المؤمنين فيسرّون به وتطيب بذلك قلوبهم، ونعم الصدقة بَسْط الوجه، ثم بذلوا نفوسهم للمؤمنين بحسن البَسْط وبشاشة الوجه وموافقة الناس بالظاهر فيما لا يقوم العلم بحظره وتحريمه، وقد قال النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إنّكم لا تَسَعون الناس بأموالكم فليَسَعْهم منكم بسط وجوهكم وحُسن خُلق».

وللصوفيّة أحوال في الإنبساط بعضهم إلى بعض: فأوّلها بَسطْ اليدين بالعطيّة، ثم بَسْط الوجه بالبَشاشة، ثم بسط اللسان بالمداعبة والمزاح، ثم بسط الجوارح كلّها لسرور الإخوان وفرح قلوب الأصحاب.

ومن ذلك السماع: فإنّ الصوفيّة مخصوصة بذلك، فإنّهم لمّا زهدوا في الدار الفانية واختاروا الفقر وبذلوا لله عزّ وجلّ المهج، واجتهدوا بعد الفرائض في النوافل، فتح الله عزّ وجلّ أعين قلوبهم فنظروا بصفاء الهِمَّة وسمعوا بثاقب الفهم فتحقّق لهم السماع واتبعوا الأحسن من القرآن وما أودع الحق في أسرارهم من عزيز لطائفة وعجيب مواهبه، ومن الهداية التي شهد الله بها لأهل الاستماع، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [٣٩/١٧ـ ١٨] ثم قال: ﴿أُولِئك الَّذِينَ هَدَاهُمُ الله وَأُولِئكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [٣٩/١٨].

فالسماع أصل من أصول الصوفيّة تتعلّق به معانٍ كثيرة، فأوّل ذلك ما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ الله فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا﴾ [٨/٢٣] وهذا ما تعلّق بما تقدّم من الهداية في الأصل وهو سماع أهل التوحيد، ثم سماع الذكر من الحقّ المتعلق بالأمر والنهي والمواعظ، قال

الله عزّ وجلّ: ﴿وَاتَّقُوا الله وَاسْمَعُوا﴾ [٥/ ١٠٨] ثم سماع ما افترض الله عزّ وجلّ استماعه وهو كلام الله عزّ وجلّ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾ [٧/ ٢٠٤].

وللسماع أصل مجمل واسم جامع، فمن السماع ما هو الفَهْم عن الله.

فالخالص من السماع ما يدعو إلى التلَف والفناء عن حظّ النفس في الدارين لتجريد الإشارة إلى التوحيد، ومن السماع ما هو للروح يدعو معدن الأرواح إلى الملكوت، ويدعو من الجهل إلى العلم، ومن الغفلة إلى الذكر، ومن السماع المذموم ما هو للنفس يدعو إلى الحاضر من الدنيا وإلى الهَوى وحظ الدار الفانية فتهَيِّج النفس به، وذلك لأهل التخليط الذين هاجت نفوسهم، فاللهو قصدهم ومن الدنيا شربهم.

ثم الذي لم يغّيره وجده ولم يحرّكه سماعه بالطاعات ولم يزجره عن حظوظ النفوس في الدار، فالسماع عليه لا له، لأنّه زائد له في هواه وعطبه، وأوّل شرط السماع: بغض الدنيا.

وهذا غيض من فيض مما عناه وأراده إمامناالسيد أحمد الرفاعي، فجزاه الله عنا وعن المسلمين كل خير، وضّحته وحاولت ما بوسعي من ضبط وتعريف وشرح وتخريج، سائلاً المولى عز وجل أن ينفع به ويجعله ذخيرة لنا يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

دمشق في الخامس عشر من شعبان ١٤١٦ هـ

الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان

# التعريف بالمؤلف

**اسمه ونسبه**

هو الإمام، القدوة، العابد، الزاهد، شيخ العارفين، أبو العباس، محيي الدين: أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة الرفاعي، المغربي، ثم الواسطي، البطائي، المعروف بالسيد الكبير، أبي العلمين.

والرفاعي: نسبة إلى مَنْ اسمه رفاعة من أجداده، كما قال علماء التاريخ كابن خلّكان في «وفيات الأعيان» وغيره، ورفاعة: جده السابع، واسمه: الحسن، وإنما لقبه: رفاعة، هاجر من مكة لمّا كثر الجور والظلم على الشرفاء من آل البيت، ونزل بالمغرب وأقام مع قبيلة من العرب هناك، وعلا أمره، وانتشر صيته، وعمَّت بركته، وكثرت ذريَّته، وبقي نسله بالمغرب إلى زمن يحيى جد السيد أحمد الرفاعي، فهاجر عائداً إلى مكة بلد أجداده.

وفي البصرة: سكن في منطقة «البطائح» بقرية «أُمُّ عَبِيدَة» وتزوّج السيدة «عَلْما بنت أبي سعيد البخاري الأنصاري» فجاءه عليّ والد السيد أحمد الرفاعي. وتربىّ على قراءة القرآن حفظاً وتجويداً، وتلقى العلوم الشرعية عن إمام وقته، رئيس المشايخ في منطقة البطائح خاله الشيخ يحيى البخاري الأنصاري، فبرع واشتهر وشهد له أكابر الشيوخ.

تزوج والد السيد أحمد الرفاعي من السيدة «فاطمة البخارية بنت الشيخ يحيى البخاري» وأخت العارف بالله، شيخ الشيوخ: منصور البطائحي الرباني، فرزقه الله تعالىٰ بالسيد أحمد الرفاعي.

كانت ولادة السيد الإمام أحمد الرفاعي في بيت جده أبي سعيد يحيى

البطائحي سنة ٥١٢ هـ وقيل: ٥٠٠ هـ وفي قرية «حسن» من أعمال واسط ـ العراق.

ويتصل نسبه الشريف بالإمام علي كرَّم الله وجهه ورضي عنه، وذلك أن جدَّه السابع رفاعة بن المهدي، بن أبي القاسم محمد، بن الحسن، بن الحسين، بن أحمد، بن موسى الثاني، ابن إبراهيم المرتضى، بن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام علي زين العابدين، ابن الإمام الحسين سبط الرسول ﷺ، ابن سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي الله عنهم أجمعين.

كان والده أبو الحسن فقيهاً شافعياً ومُقرئاً يَؤُمُّ الناس وفيهم الشيخ منصور، ويعظ ويرشد بالمسجد الجامع، توفي وابنه أحمد حَمْلٌ، فربَّاه خاله الشيخ منصور البطائحي الأنصاري.

**نشأته:**

نشأ الإمام أحمد في بيت علم ودين وورع، فحفظ القرآن الكريم صغيراً، وتعلَّم الفقه والحديث والوعظ والإرشاد، ثم اتصل بالإمام القاضي المقرىء المحدث الشيخ علي أبي الفضلِ الواسطي رضي الله عنه، فقام بتربيته وتعليمه وتلقينه الشرع قولاً وعملاً وتقوى، فسبق الإمام أحمد أقرانه، وعُرف بعلمه وورعه والتزامه الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، فأحبه العلماء والناس ورجعوا إليه في مسائلهم وشؤونهم حتى علا أمره وسار صيته في البلاد.

**شيوخه:**

الأخبار عن طفولة السيد أحمد الرفاعي وشبابه شحيحة لا تكاد تفي بأي دراسة علمية مُعَمقةٍ عنه، وكثيراً ما تختلط الروايات وتتضارب تعظيماً وتفخيماً حتى تبلغ حد المبالغة التي لا يقبلها العلم والتصور الصحيح، ولذلك اقتصرنا على ذكر شيوخه مِمَّن ذكرهم في سند الأربعين حديثاً التي

رواها بسند متصل إلى رسول ﷺ، وكان من عادة العلماء رواية كل حديث عن شيخ من شيوخهم، ومع أن الإمام لم يلتزم بهذه الطريقة إلا أننا استطعنا استقصاء أربعة ممن أخذ عنهم رضي الله عنه وعنهم. يقول:

- شيخنا الشيخ الكبير العارف بالله تعالى: القاضي، المقرىء أبو الفضل علي الواسطي رضي الله عنه.

- شيخنا الإمام، الباز الأشهب، خالي، أبو المكارم، منصور البطائحي الربائي الأنصاري الحسيني رضي الله عنه.

- شيخنا العارف بالله المقرىء، خالي، الشيخ أبو بكر بن يحيى البخاري، الأنصاري، الواسطي رضى الله عنه.

- ابن عمي، سيف الدين عثمان الذي أخذ عن أبي السيد أحمد الرفاعي: علي بن يحيى.

**أولاده:**

تزوج السيد أحمد الرفاعي في بدايته بالشيخة الصالحة: السيدة خديجة بنت خاله العارف بالله المقرىء أبي بكر بن يحيى البخاري الأنصاري الواسطي، فأولدها: السيدة فاطمة، والسيدة زنيب، رضي الله عنهم أجمعين، ثم توفيت فتزوّج بعدها بأختها الصالحة، الزاهدة، العابدة، السيدة رابعة، فأولدها: السيد صالح، وقد توفي في حياة أبيه، ولم يتزوج.

**وفاته:**

توفي رحمه الله تعالى في يوم الخميس ٢٢ جمادى الأولى عام ٥٧٨ هـ وهو في السبعينات من عمره، أسكنه الله فسيح جناته.

**مؤلفاته:**

١ـ البرهان المؤيد: وهو الكتاب الذي بين أيدينا، وهو مجموعة دروس

وخطب وعظية ارشادية، سجّلها عنه طلابه، وإن كنا نظن أنّ فيها مما ليس من أقوال السيد الرفاعي، وهذا مما لا يخفى على الباحث والخبير بأقوال واصطلاحات العلماء والمؤلفين.

٢ـ **الأربعون حديثاً**: هو كتاب يحوي أربعين حديثاً رواها السيد أحمد الرفاعي عن رسول الله ﷺ (حالة أهل الحقيقة مع الله) بسند موصول، وأغلبها أحاديث صحيحة.

٣ـ **النظام الخاص لأهل الاختصاص.**

٤ـ **كتاب الحكم**: طبعاته: كسابقه. بالإضافة إلى طبعة بتحقيق: محمود السامرائي.

٥ـ **حزب مكوَّن من آيات وأدعية وأذكار**: ما يزال مخطوطاً في مكتبة الأسد الوطنية برقم ٨٢٢٢

**مخطوطات الكتاب**: سنة ١٢٤٧هـ.م ونسخة ثانية برقم ٥٢٣٣ نسخ سنة ١٢٦٢هـ.م

**كتب صنفها مؤلفوها في مدح وترجمة الإمام أحمد الرفاعي**

ربيع العاشقين: لعلي بن جمال الحداد

البرهان المؤيد في مناقب الإمام الرفاعي لابراهيم الكازروني

ترياق المحبيّن: لتقي الدين الطوسي

النفحة المسكية: للفاروقي الواسطي

خلاصة الإكسير: لعلي الواسطي

العقود الجوهرية: لأحمد عزت باشا الفاروقي

عجائب واسط وفيه: بلغ خلفاؤه وخلفاء خلفائه ـ ١٨ ألفاً في حال حياته

رحيق الكوثر وفيه: مجموعة من بعض أقواله

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة المؤلف

الحمد لله حمداً يرضاه لذاته،

والصلاة والسلام على سيد مخلوقاته،

ورضي الله عن الصحابة، والآل، وأتباعهم من أهل الشرع والحال، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

## [الزهد والإخلاص والتقوى]

أي سادة: الزهد أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل، وأساسه التقوى، وهي: خوف الله رأس الحكمة، وجماع كل ذلك: حسنُ متابعة إمام الأرواح والأشباح[1]، السيد المكرَّم، رسول الله ﷺ.

وأول طريق المتابعة حسن القدوة، عملاً بحديث: «إنَّما الأعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»[2].

ألا ترون أن رسول الله ﷺ كيف قال لرجل، قال له: يارسول الله! رجل يريد الجهاد، وهو يبتغي عَرَضاً من الدنيا؟! فقال له رسول الله ﷺ: «لاَ أجْرَ لَهُ».

فأعظم ذلك الناسُ! فقالوا للرجل: عُدْ لرسول الله ﷺ فلعلك لم تفْهَمْهُ.

---

(١) الأشباح: هنا: الأجساد.

(٢) البخاري في بدء الوحي والإيمان(١/٧، ١٥) ومسلم في الإمارة(١٩٠٧) عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فقال الرجل: يارسول الله، رجلٌ يريد الجهاد في سبيل الله، وهو يبتغي عَرَض الدنيا؟ قال: «لاَأَجْرَ لَهُ».

فأعظم ذلك الناس، وقالوا: عُدْ لرسول الله ﷺ، فقال له الثالثة: رجل يريد الجهاد في سبيل الله، وهو يبتغي عرَضاً من الدنيا؟ فقال: « لاَأَجْرَ لَهُ». رواه الثقات، وصححوه[1].

فمن هذا ومثله علمنا أن نتائج العمل تحسُنُ وتقبُح: بالنية فعاملوا الله بحسن النيَّات، واتقوه في الحركات والسكنات، وصونوا عقائدكم من التمسك بظاهر ماتشابه من الكتاب والسُنَّة، لأن ذلك من أصول الكفر! قال تعالى:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَاتَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]

## [الإيمان بالله تعالى]

والواجب عليكم وعلى كل مكلف، في المتشابه[2]: الإيمان بأنه من عند الله، أنزله على عبده سيدنا رسول الله ﷺ، وماكلفنا سبحانه وتعالى تفصيل علم تأويله، قال جلَّتْ عظمته:

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ الله، والرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]

---

(١) في البخاري في العلم(١/ ١٩٧ و٦/ ٢١، ٢٢) ومسلم في الإمارة (١٩٠٤ و١٥٠) بالمعنى نفسه، عن أبي موسى الأشعري. آخره: فقال رسول ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

(٢) المتشابه: مايحتمل أوجهاً، وهو الذي لا يعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل، وقيل: المتشابه مالايستقل بنفسه إلا برده إلى غيره. وقيل: هو ما استأثر الله تعالى بعلمه، ولاسبيل لأحدٍ إلى علمه (البغوى ٢٧٩).

فسبيل المتقين من السلف[1] : تنزيه الله تعالى عما دلَّ عليه ظاهره، وتفويض معناه المراد منه: إلى الحق تعالى وتقدَّس، وبهذا سلامة الدين.

سُئل بعض العارفين عن الخالق تقدَّسَتْ أسماؤه؟ فقال للسائل: إن سألتَ عن ذاته، فليس كمثله شيء، وإن سألت عن صفاته، فهو: أحَدٌ صَمَدٌ، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وإن سألت عن اسمه فـ ﴿هُو الله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢]. وإن سألت عن فعله؟ فـ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]

وقد جمع إمامنا الشافعي[2] رضي الله عنه، جميع ماقيل في التوحيد بقوله:

«من انتهض لمعرفة مدبِّره فانتهى إلى موجودٍ ينتهي إليه فكره فهو: مشبِّه[3] ، وإن اطمأن إلى العدم الصرف فهو: معطِّل! وإن اطمأن لموجود

---

(١) السلف: هم مَنْ كانوا في القرون الثلاثة الأولى: الصحابة، والتابعون، وأتباع التابعين.
وقد كانوا يؤمنون بجميع ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، على المعنى الذي أراده الله تعالى، وأراده الرسول ﷺ، من غير أن تُطالبهم أنفسهم بتفصيلٍ لايسعهم فهمه، لأنه من الغيبيات.

(٢) هو إمام ومؤسس المذهب الشافعي: أبو عبد الله، محمد بن ادريس بن العباس ابن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، ولد في غزة سنة ١٥٠هـ، وجاءت به أمه إلى مكة وهو ابن سنتين، وتفقه على الإمام مالك: إمام المالكية، وأفتى وهو ابن عشرين سنة، رحل إلى بغداد والشام ومصر، وبقي فيها إلى أن توفي سنة ٢٠٤هـ، وهو المجدِّد لأمر الدين على رأس المائتين، روى له البخاري ومسلم.
وقد نقل عقيدة الإمام الشافعي الشيخان: أبو ثور، وأبو شعيب انظر «العلو» للذهبي١٧٦ .

(٣) هو الذي يشبِّه الخالق بالمخلوق، لأنه كل ما يخطر على البال فالله تعالى خلافه =

واعترف بالعجز عن إدراكه، فهو: موحِّد».

أي سادة: نزِّهوا الله عَن سِمات المحْدَثين، وصفات المخلوقين، وطهِّروا عقائدكم من تفسير معنى الاستواء في حقه تعالى بالاستقرار، كاستواء الأجسام على الأجسام المستلزم للحلول، تعالى الله عن ذلك.

وإياكم والقول: بالفوقية، والسفلية، والمكان، واليد، والعين بالجارحة، والنزول بالإتيان والانتقال، فإن كل ماجاء في الكتاب والسُّنَّة، مما يدل ظاهره على ماذُكر، فقد جاء في الكتاب والسُّنَّة مثله مما يؤيد المقصود، فما بقي إلا ماقاله صلحاء السلف وهو: الإيمان بظاهر كل ذلك، وردُّ علم المراد إلى الله ورسوله، مع تنزيه الباري تعالى عن الكَيْف وسماتِ الحدوث، وعلى ذلك درج الأئمة، وكل ماوصف الله به نفسه في كتابه، فتفسيره قراءته والسكوت عنه، ليس لأحد أن يفسره إلا الله تعالى ورسولُه.

ولَكُمْ حملُ المتشابه على مايوافق أصل المحكم[1]، لأنه أصل الكتاب، والمتشابه لايعارض المُحكم.

سأل رجلٌ الإمام مالكاً بن أنس[2] رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

فقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ومأراك إلا مبتدعاً، وأمر به أن يُخرج».

---

= لأن كل مايخطر للإنسان فهو مخلوق، والله تعالى يقول ﴿لَيْسَ كمثله شيء﴾.

(١) المحكم: مافيه من الحلال والحرام، وقيل: المحكم: الناسخ الذي يُعمل به، وقيل: ماأوقف الله الخلق على معناه (البغوي ٢٧٩).

(٢) هو إمام مؤسس المذهب المالكي: أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، المدني ولد سنة ٩٣ هـ، إمام دار الهجرة: المدينة المنورة، وتوفي فيها سنة ١٧٩هـ.

وقال إمامنا الشافعي رضي الله عنه لما سئل عن ذلك: «آمنت بلا تشبيه، وصدَّقتُ بلا تمثيل، واتهمتُ نفسي في الإدراك، وأمسكت عن الخوض فيه كلَّ الإمساك(١)».

وقال الإمام أبو حنيفة(٢) رضي الله عنه من قال: «لاأعرف الله أفي السماء هو أم في الأرض فقد كفر» لأن هذا القول يوهم أن للحقِّ مكاناً، ومن توهَّم أن للحق مكاناً فهو مشبِّه!

وسُئل الإمام أحمد(٣) رضي الله عنه عن الاستواء؟

فقال: «استوى كما أخبر، لاكما يخطر للبشر(٤)».

وقال الإمام ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «مَنْ زعم أن الله في شيء، أو من شيء، أو على شيء، فقد أشرك! إذ لو كان على شيء لكان محمولاً، ولو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان من شيء لكان

---

(١) لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وقوله: ﴿ولهُ المثلُ الأعلى﴾ وقوله ﴿قُلْ هو الله أحد﴾ ولقوله ﴿ولاتقفُ ماليس لَكَ به علم..﴾.

(٢) روى هذا: أبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي، قال: سألتُ أبا حنيفة عمَّن يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض؟! فقال: قد كفر، لأن الله يقول: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وعرشه فوق سماواته«العلو» للذهبي١٣٦.

(٣) انظر عقيدته في كتاب «عقيدة الإمام أحمد بن حنبل» بتحقيقي، طبع دار قتيبة سنة ١٩٨٧(٧٨ـ٩٣). والإمام أحمد: هو امام المذهب الحنبلي ابن محمد بن حنبل، الشياني، ولد في بغداد سنة ١٦٤هـ، رحل في طلب العلم كثيراً، وحفظ الحديث الشريف وأسنده، وثبت في الفتنة التي ابتلي المسلمون بها في القول بخلق القرآن، وسُجن، وعذِّب ثمانية وعشرين شهراً، ثم أطلق، وتوفي في بغداد سنة ٢٤٤هـ.

(٤) هو السيد الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، من كبار التابعين، ولد في المدينة المنورة، أخذ عنه الكثير من العلماء، توفي في المدينة سنة١٤٨هـ.

مُحْدَثاً﴾.

أي سادة: اطلبوا الله بقلوبكم، هو ﴿أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [قَ: ١٦]. ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ [الطلاق: ١٢]

«الدين النصيحة[١]»، إذا قلتم: لا إلّه إلا الله؛ فقولوها بالإخلاص الخالص من الغيرية[٢]، ومن خطورات التشبيه والكيفية، والتحتية والفوقية، والبُعدية والقُربية، وخذوا نتائج الأعمال بخالص النية، فقد قال سيد البرية عليه أفضل الصلاة والسلام والتحية:

«إِنَّما الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ مَانَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَاهَاجَرَ إِلَيْهِ[٣]».

## [أركان الإسلام والإيمان]

أَحكموا أعمالكم على الأركان الخمسة، التي بُنِيَ عليها الإسلام، قال رسول الله ﷺ:

«بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ[٤]» «إِيَّاكُمْ ومحدَثَاتِ الأمور» قال[٥] عليه الصلاة والسلام: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هٰذَا مَالَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ[٦]».

---

(١) مسلم في الإيمان(٥٥).

(٢) الغيرية: كلُّ ماسوى الله تعالى.

(٣) سبق جزء منه.

(٤) البخاري في الإيمان وغيره(١/٤٦،٤٧)، ومسلم في الإيمان (١٦).

(٥) قطعة من حديث رواه أبو داود في السنة (٤٦٠٧)، والترمذي في السنة (٢٦٧٨) عن العرباض بن سارية.

(٦) البخاري في الصلح (٥/٢٢١)، ومسلم في الأقضية(١٧١٨)(١٨).

عاملوا الله بالتقوى، وعاملوا الخَلْق بالصدق وحسن الخُلُق؛ عاملوا أنفسكم بالمخالفة، وقِفوا عند الحدود. ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُمْ﴾ [النحل: ٩١]. ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

## [الطريق إلى الله تعالى]

إياكم والكذب على الله والخلق، فإنَّ الدعوى كذب على الله وخلقه؛

كل العبودية معرفة مقام العَبْدية، الدِّينُ عملٌ بالأوامر، واجتناب عن النواهي، وخضوع وانكسار في الأمرين؛ العمل بالأوامر يُقرِّب إلى الله، والاجتناب عن النواهي خوف من الله.

طلب القرب بلا أعمال، محال وأي محال! الخوف مع الجرأة فضيحة.

اطلبوا الله بمتابعة رسوله ﷺ، إياكم وسلوك طريق الله بالنفس والهوى، فمن سلك الطريق بنفسه ضلَّ في أول قدم.

أي سادة: عظِّموا شأن نبيكم، هو البرزخ[1] الوسط، الفارق بين الخلق والحق، عبد الله، حبيب الله، رسول الله، أكمل خلق الله، أفضل رسل الله، الدال على الله، الداعي إلى الله، المخبر عن الله، الآخذ من الله؛ باب الكُل إلى الحظيرة الرحمانية، وسيلة الكل إلى الحظيرة الصمدانية.

ومن اتصل به اتصل، ومن انفصل عنه انفصل، قال صلوات الله وتسليماته عليه:

---

(١) البرزخ: الوسط بين شيئين، ويُقال عما بين الدنيا والآخرة، من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ، أما هنا: فهو الرسول بين الله تعالى والناس.

«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ[1]».

أيْ سادة: اعلموا أن نبوة نبيِّنا ﷺ: باقية بعد وفاته، كبقائها حال حياته، إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها، وجميع الخلق مخاطَبون بشريعته، الناسخة لجميع الشرائع ومعجزته باقية، وهي القرآن، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾. [الإسراء: ٨٨].

أي سادة: من ردّ أخباره الصادقة، كمن ردّ كلام الله تعالى! آمنّا بالله، وبكتاب الله، وبكل ماجاء به نبيِّنا محمد رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ، وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء: ١١٥].

## [فضل الصحابة رضوان الله عليهم]

أفضل الصحابة: سيدنا أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، ثم سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه، ثم سيدنا عثمان ذو النورين رضي الله عنه، ثم سيدنا عليٌّ المرتضى كرم الله وجهه ورضي عنه.

والصحابة رضي الله عنهم: كلهم على هدىً، روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ[2]».

يجب الإمساك عما شجر بينهم، وذِكْر محاسنهم، ومحبتهم، والثناء عليهم، رضي الله عنهم أجمعين، فأحِبُّوهم وتبركوا بذكرهم، واعملوا على

---

(١) رواه الإمام النووي في كتابه «الأربعون حديثاً» من كتاب «الحجة»، برواية عبد الله ابن عمرو بن العاص، الحديث ٤١، وهو حسن صحيح بإسناد صحيح.

(٢) رواه البيهقي، وأسنده الديلمي عن ابن عباس بلفظ قريب، انظر «كشف الخفاء» (١/١٤٧).

التخلق بأخلاقهم.

قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام لأصحابه:

«أُوْصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ الله عزَّ وجَلَّ، والسَّمْعِ والطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ[1]».

## [فضل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم]

ونوِّروا كل قلب من قلوبكم، بمحبة آله الكرام عليهم السلام، فهم أنوار الوجود اللامعة، وشموس السعود الطالعة. قال تعالى:

﴿قُل لَّآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

وقال ﷺ: «الله الله في أَهْلِ بَيْتِي[2]».

من أراد الله به خيراً ألزمه وصية نبيه في آله، فأحبَّهم واعتنى بشأنهم، وعظَّمهم وحماهم، وصان حِماهم، وكان لهم مراعياً، ولحقوق رسوله فيهم راعياً، «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ[3]». ومن أحبَّ الله أحبَّ رسولَ الله، ومن أحبَّ رسولَ الله أحبَّ آل رسول الله ﷺ، ومن أحبهم كان معهم، وهم مع أبيهم عليه الصلاة والسلام؛ قدِّموهم عليكم، ولاتقدَّموهم، وأعينوهم وأكرموهم، يعود خير ذلك عليكم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه الدولابي في «لذرية الصالحة».

(٣) البخاري في الأدب ومسلم في البر والصلة (١٠/ ٤٦١، ٤٦٢) (٢٦٤٠، ٢٦٤١) وفي حديث آخر: الترمذي في الدعوات (٣٥٢٩، ٣٥٣٠) و(٩٦).

# [أولياء الله تعالى]

الصَقُوا بأولياء الله: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لاَخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾. [يونس: ٦٢_٦٣].

الوليُّ: من وادَّ الله، وآمن به واتقاه، فلا تحادُّوا من وادَّ الله.

جاء في بعض الكتب الإلَهية[١]: «مَنْ آذَىٰ لِي وَلِياً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ[٢]».

الله يغار لأوليائه، ينتقم لهم ممن يؤذيهم؛ ويكرمهم بِصَوْنِ محبيهم، وعون من يلوذ فيهم، هم أخص المخاطبين بآية: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣١]. عليكم بمحبتهم، والتقرب إليهم، تحصل لكم بهم البركة؛ كونوا معهم، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الله، أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

أي سادة: حدُّوا المراتب، وإياكم والغلو، أنزلوا الناس منازلهم.

أشرف النوع الإنساني: الأنبياءُ عليهم الصلاة والسلام، وأشرف الأنبياء نبينا محمد ﷺ، وأشرف الخلق بعده: آلُهُ وأصحابُه، وأشرف الخلق بعدهم: التابعون أصحاب خير القرون.

هذا على وجه الإجمال، وأما على وجه الإفراد، فالنصَّ النصَّ، وإياكم والأخذ بالرأي، فماهلك مَنْ هلك إلا بالرأي، هذا الدين لايُحْكَمُ فيه بالرأي أبداً، حَكِّموا آراءكم في المباحات:

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ الله وإلى الرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

---

(١) أي: الكتب المقدسة، وفي الواقع جاءت ضمن الأحاديث القدسية.

(٢) رواه البخاري في الرقاق (١١/ ٢٩٢، ٢٩٧) والولي: هو القريب من الله، لتقربه إليه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وهو المؤمن التقي.

اذكروا أولياء الله تعالى بخير، إياكم وتفضيل بعضهم على بعض، رفع الله تعالى بعضهم على بعض درجات، لكن لايعرفها غيره، ومن ارتضى من رسول، أيِّدوا هذه العصابة بترك الدعوى، شيدوا أركان هذه الطريقة المحمدية بإحياء السُّنَّة، وإماتة البدعة.

## [صفة الصوفيين]

أي سادة: الفقير على الطريق مادام على السُّنَّة، فمتى حاد عنها زلَّ عن الطريق.

قيل لهذه الطائفة: الصوفية، واختلف الناس في سبب التسمية؛ وسببها غريب لايعرفه الكثير من الفقراء، وهو أنَّ جماعة من مُضر[(١)] يقال لهم: بنو الصوفة، وهو: الغوث بن مُرّ بن أدّ بن طابخة الربيط، كانت أمه لايعيش لها ولد، فنذرت إن عاش لها ولد لتربطن برأسه صوفة، وتجعله ربيط الكعبة، وقد كانوا يجيزون الحاجَّ، إلى أن مَنَّ الله بظهور الإسلام، فأسلَموا وكانوا عبّاداً، ونُقِلَ عن بعضهم حديث رسول الله ﷺ.

فمن صحبهم سُميَ بالصوفي، وكذلك مَن صحب مَن صحبهم، أو تعبَّد ولبس الصوف مثلهم، ينسبونه إليهم، فيقال: صوفي.

ونوَّع الفقراء الأسباب، فمنهم من قال: التصوف: الصفاء؛ ومنهم من قال: المصافاة؛ وغير ذلك.

---

(١) من قبائل العرب، وقيل: صوفة: أبو حي من مضر سمّي بذلك لأن أمه جعلت في رأسه صوفة، وجعلته ربيطاً للكعبة يخدمها، فكانوا يُجيزون الحاجَ في الجاهلية أي يُفيضون بهم من عرفات، وكان أحدهم يقوم فيقول، أجيزي صوفة، فإذا أجازت، قال: أجيزي خِندفُ، فإذا أجازت أذن للناس كلهم في الإجازة. وقيل: هم قومٌ من أفناء القبائل، تجمَّعوا فتشبَّكوا كتشبُّك الصوفة، ومنه: آل صفوان. (القاموس المحيط ١٠٧١) والربيط: المنذور لعمل ما لايستطيع تبديله.

وكلُّه صحيح من حيث معناه، لأن أهل هذه الخرقة، التزموا الصفاء والمصافاة، وعملوا بالآداب الظاهرة، وقالوا: إنها تدل على الآداب الباطنة؛ وقالوا: حُسن أدب الظاهر، عنوان أدب الباطن؛ وقالوا: من لم يعرف أدب الظاهر، لايُؤتمن على أدب الباطن.

كل الآداب منحصرة في متابعة النبي ﷺ، قولاً وفعلاً؛ وحالاً وخُلُقاً، فالصوفي: آدابه تدل على مقامه؛ زِنوا أقواله وأفعاله، وأحواله وأخلاقه؛ بميزان الشرع، يُعلم لديكم ثقلُ ميزانه وخفته، خُلُق النبي ﷺ القرآن، قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾. [الأنعام: ٣٨].

من التزم الآداب الظاهرة، دخل في جنسية القوم، وحُسِبَ في عدادهم، ومن لم يلتزم الآداب الظاهرة، فهو فيهم غير، لايلتبس حاله عليهم، لأن استعمال الآداب دليل الجنسية؛ بل تكون علة الضم.

قال رويم[1] رحمه الله تعالى: «التصوف كله أدب».

وهذا الأدب الذي أشارت إليه الطائفة، أدب الشرع؛ كن متشرعاً، ودع حاسدك يكذب عليك، وينسب مايحب إليك!.

وَلَسْتُ أُبَالِي مَنْ رَمَانِي بِرِيبَةٍ ... إِذَا كُنْتُ عِنْدَ اللهِ غَيْرَ مُرِيبِ
إِذَا كَانَ سِرِّي عِنْدَ رَبِّي مُنَزَّهاً ... فَمَا ضَرَّنِي وَاشٍ أَتَىٰ بِغَرِيبِ

## [عيوب النفس]

أيها السالك! إياك ورؤية النفس، إياك والغرور، إياك والكِبْرَ فإن كل ذلك مهلك، مادخل ساحة القرب من استصغر الناس واستعظم نفسه! مَنْ أنا ومن أنت؟!.

---

(١) هو رويم بن أحمد بن يزيد، أبو محمد البغدادي، من أهل بغداد، وجلَّة مشايخهم، كان فقيهاً، مُقرئاً، توفي سنة ٣٠٣هـ(الصوفيون٦٩).

أي أخي: كل واحد منّا مسيكين[1]، أوله مضغة، وآخره جيفة، شرف هذا العَرَضِ جوهز العقل، العقل ماعقل النفس وأوقفها عند حدها، فإذا لم يكن عقل المرء عاقلاً لنفسه، موقفاً لها عند حدها، في أخذها وردِّها، فليس بعقل.

وإذا حُرم المرء الجوهر، ذهب شرفه وبقي عَرَضاً ثقيلاً كثيفاً، لايليق لمرتبة عزيزة، ولالمنصب نفيس، وإذا تمَّ عقله وكمُلَ، صار الحكم فيه للجوهر المحض، فصلح أن يكون على تيجان الملوك والأكاسرة.

وأول مراتب العقل: الانخلاع عن الأنانية الكاذبة، والدعوى الباطلة، وصَوْلة الفتق والرتق، والواهب والسلب، وإذا حكمه المقام وصار ذو صفة علية أيضاً، فاللازم عليه أن يعرف مبتدأه الطيني، ومنتهاه الترابي! وأن يقف بين هذه البداءة والنهاية، بما يناسبهما من قول وفعل، لأنَّ واعظ الله في قلب كل رجل مسلم، من لم يكن له من نفسه واعظ، لم تنفعه المواعظ، كيف ينتفع بالموعظة من كان قلبه غافلاً؟.

قال سهل رحمه الله تعالى[2]: «الغفلة: سواد القلب».

وقال السيد الأمين ﷺ من حديث: «... أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ[3]».

أيْ أخي: تنتفع من موعظتي، وأنتفع من موعظتك، إذا أخلص كلٌّ منّا.

---

(١) مُسيكين: تصغير مسكين.

(٢) هو سهيل بن عبد الله بن يونس التستري أبو محمد، شاهد ذا النون المصري، أحد كبار الصوفيين، تكلم في علومهم، توفي سنة ٢٨٣هـ (الصوفيون ٨٠).

(٣) البخاري في الإيمان (١/١١٦، ٤/٢٤٨،٢٤٩) ومسلم في البيوع(١٥٩٩) والحديث دعوة إلى إصلاح القلب والنفس.

أي أخي: أنت أحسن مني، زحمتك ذلة التلقي، وأنا أخذتني سكرة التعليم!.

أي أخي: إن أنا غلبت نفسي المسكينة، وقلت لها: علّمك الله وأوجب عليك تعليمَ الإخوان، وكاتم العلم يلجم بلجام من نار فتعبكِ لكِ، ققي عند حدك، ربما كان فيهم من هو عند الله أجلُّ منك؛ أخفاه عنك ليختبرك!.

وبعد ذلك سكنتْ ثائرتها الكاذبة، وعرفتْ قَدْرها، ووقفتْ عند طورها، فلها الحظ الأوفر؛ وكذلك أنت.

أي أخي: إنْ غلبتَ نفسك وألزمتها التعلم، وذبحتَ الهوى بسكين الاقتداء، وأخذتَ الحكمة غاضاً طَرْفَكَ عن شرفك وعلمك، وحسبك وأبيك، ومالك وحالك، فقد فزت فوزاً عظيماً.

من لم يحاسب نفسه عن كل نَفَس ويتهمها، لم يثبت عندنا في ديوان الرجال.

## [صفة الواعظين التواضع]

أي سادة: أنا لستُ بشيخ؛ لستُ بمقدَّم على هذا الجمع؛ لست بواعظ، لست بمعلم؛ حُشِرت مع فرعون وهامان إن خطر لي أني شيخ على أحد من خلق الله، إلا أن يتغمدني الله برحمته، فأكون كآحاد المسلمين.

مُتْ مسلماً ولاتبالي، الإسلام حبل الوصلة إلى الله، لو عَبَدَ الله غيرُ المسلم بعبادة الثقلين، بعيدٌ عن الله مغضوب عليه.

ولو أتى العبد المسلم بذنوب الثقلين، له من الله حظ العبودية: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَاتَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. [الزمر: ٥٣].

أحكموا رابطة الوصلة مع الله بشرائط الإسلام: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ[1]».
أين أهل الصدق الذين يأمرون الناس بالبر ويأتمرون به؟.

أينَ أهلُ الإيمان الكامل، الذين يطلبون الحكمة ولايقف نظرهم عند موضعها؟.

من كمال الإيمان والصدق: وعظُك نفسك، ونفعكَ غيرك، وأخذُك الحكمة أنّى وجدتها.

كل الفقراء ورجال هذه الطائفة: خير مني، أنا أُحَيْمَدْ اللاش، أنا لاش اللاّش[2].

لكن الحق يقال: الصوفي من صُفِّيَ سرُّه من كُدُورات الأكوان، وما رأى لنفسه على غيره مزية، هكذا كتب الله وحكم؛ وهذا والله خُلق عبيده الذين طهرهم من رؤية غيره.

أي أخي: أنت غير، ونفسك غير، وغيرك غير، كلّ ماأدركه بصرك، واختلج بشكله وكيفيته سرك، فهو غير.

ربُّنا لاتكيّفه الأفكار، ولاتُدركه الأبصار.

أي أخي: أخاف عليك من الفرح بالكرامة وإظهارها، الأولياء يستترون من الكرامة، كاستتار المرأة من دم الحيض!.

أي أخي: الكرامة عزيزة بالنسبة إلى المكرم، ليست بشيء بالنسبة لنا، لأن هذا الإكرام لمّا ورد من باب الكريم، عَظُمَ وعزّ، وتلقّته القلوب بالإجلال، ولما تحوّل لفظ النسبة إلى العبد هان الأمر، واستتر الكامل من

---

(١) البخاري في الإيمان (١/ ٥٠) ومسلم في الإيمان(٤٠).
(٢) أُحَيمد: تصغير أحمد. واللاش: أي: اللاَّشيء. وهذا من تواضعه، ونظرته إلى نفسه، رضي الله عنه.

هذه النسبة التي تحوّل أمرها، من باب قديم إلى باب حادث، خيفةً من استحسان النسبة الثانية؛ فإن قبولها سُمٌّ قاتل!.

«كلنا عارٍ إلاّ مَنْ كساه، كلنا جائع إلاَّ مَنْ أطعمه، كلنا ضالٌّ إلا من هداه[1]»!.

ليس للعاقل إلا قرع باب الكريم في الشدة والرخاء.

المخلوق: ضعف، عجز، فقر، حاجة، عدم محض!.

أكرمَ الله أحبابه المتقين، وأظهر على أيديهم الخوارق، وأيدهم بروح من عنده، ورفع منارهم، فاشتغلوا به تعالى عن كل ذلك.

خافوا الله، فأسكنهم جنةَ قربه، وأكرمهم إذ نزلوا به بالنظر إلى وجهه الكريم: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾. [النازعات: ٤٠ـ٤١].

أشرُّ الهوى: رؤية الأغيار، والاشتغال عن الخالق بالمخلوق! ماالذي يراه العاقل من الاشتغال بغيره؟ القول بتأثير غيره في كل أثر مَّا، قليل أو كثير، كليٍّ أو جزئي: شرك.

قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «ياغُلاَمُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، واعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ

---

(١) هذا النص مقتبس من حديث قدسي عن النبي ﷺ فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى: «يا عبادي كلّكم ضال إلاَّ من هديته فاستهدوني أهدكم. ياعبادي كلكم جائع إلاَّ من أطعمته فاستطعموني أُطعمكم. ياعبادي كلكم عارٍ إلا مَنْ كسوته فاستكسوني أكسكم...» رواه مسلم في البر(٢٥٧٧).

الصُّحُفُ(١)».

أي سادة: تفرقت الطوائف شيعاً(٢)، وَأُحَيْمَدُ بقي مع أهل الذلّ والانكسار والمسكنة والاضطرار.

إياكم والكذب على الله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِباً﴾ [العنكبوت: ٦٨].

## [شطحات المتصوفين والالتزام بالشرع]

ينقلون عن الحلاَّج(٣) أنه قال: «أنا الحق»! أخطأ بوهمه، لو كان عل الحق ماقال: أنا الحق!.

يذكرون له شِعراً يوهم الوحدة(٤)؛ كل ذلك ومثله باطل، ماأراه رجلاً واصلاً أبداً، ماأراه شرب، ماأراه حضر، ماأراه سمع إلاَّ رنَّةً أو طنيناً، فأخذه الوهم من حال إلى حال(٥)!.

من ازداد قرباً ولم يزدد خوفاً فهو ممكور(٦)!.

---

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٥١٨).

(٢) فِرقاً.

(٣) هو الحسين بن منصور الحلاّج، من بلاد فارس، نشأ بواسط في العراق، أعدم في بغداد سنة ٣٠٩هـ في بيت شعر قال فيه:

أنا الحق، والحقُّ حقٌّ لابسُ ذاته فما ثمَّ فرقُ

(ماسينيون أخبار الحلاج ١٠٨).

(٤) الوحدة: أي وحدة الوجود، وهو اعتبار الخالق والمخلوق واحداً، أي: أن الوجود كله هو الإله المعبود فليس هناك إلا شيء واحد.

(٥) ويؤكد هذا المعنى ما قاله الامام الغزالي: وكلام العشاق يُطوى ولايُحكى، فلما خفَّ عنهم سكرهم وردُّوا إلى سلطان العقل الذي هو ميزان الله في أرضه، عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد، بل شبه الإلحاد. (مشكاة الأنوار: ٥٢).

(٦) المكر: الاحتيال والخديعة، والممكور به من الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿يُخادِعونَ الله والذينَ آمَنُوا وما يخدَعُونَ إلاَّ أنفسهُم وما يشعرونَ﴾[البقرة: ٩] =

إياكم والقول بهذه الأقاويل، إنْ هي إلا أباطيل، درج السلف على الحدود بلا تجاوز، بالله عليكم! هل يتجاوز الحد إلاَّ الجاهل؟ هي يدوس عنوة في الجُبِّ إلا الأعمى؟ ماهذا التطاول؟ وذلك المتطاول ساقط بالجوع، ساقط بالعطش؛ ساقط بالنوم، ساقط بالوجع؛ ساقط بالفاقة، ساقط بالهرم؛ ساقط بالعناء[1]، أين هذا التطاول من صدمة صوت: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦].

العبد متى تجاوز حدَّه مع إخوانه، يُعَدُّ في الحضرة ناقصاً، التجاوز علم نقص، يُنشر على رأس صاحبه؛ يشهد عليه بالدعوى، يشهد عليه بالغفلة، يشهد عليه بالزهوّ، يشهد عليه بالحجاب.

يتحدث القوم بالنعم، لكن مع ملاحظة الحدود الشرعية، الحقوق الإلٰهية تطلبهم في كل قول وفعل، الولاية ليست بفرعونية، ولا بنمرودية!.

قال فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾. [النازعات: ٢٤].

وقال قائد الأولياء وسيد الأنبياء ﷺ: «لَسْتُ بِمَلِكٍ[2]». نزعَ ثوب التعالي، والإمرة، والفوقية.

كيف يتجرأ على ذلك العارفون، والله يقول: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يسٓ: ٥٩]، وَصْفُ الافتقار إلى الله وصفُ المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَىٰ اللهِ﴾. [فاطر: ١٥].

هذا الذي أقوله: عِلْمُ القوم، تعلَّموا هذا العلم، فإن جذبات الرحمٰن في هذا الزمان قَلَّتْ! اصرفوا الشكوى إلى الله في كل أمر، العاقل لايشكو

---

= وقوله: ﴿وَيَمْكُرونَ ويَمْكُرُ الله والله خيرُ الماكرين﴾[الأنفال: ٣٠].

(١) يُعدِّد بعضاً من صفات النقص عند الانسان. التي تُلزمه أن يقف عند حدوده كمخلوق لاحول له ولا قوة.

(٢) وقال الحلاج مثل ماقال فرعون: أنا الحق، وقال البسطامي: مافي الجبّة إلا الله. هذا ماقصده الامام الرفاعي رضي الله عنه.

لا إلى مِلِك ولا إلى سلطان، العاقل كل أعمالِهِ لله.

## [التحذير من البدع والخروج عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم]

أي سادة: ماقلت لكم إلا مافعلتُه وتخلَّقتُ به، فلا حجة لكم عليَّ، إذا رأيتم واعظاً أو قاصّاً أو مُدرِّساً، فخذوا منه كلام الله تعالى؛ وكلام رسوله ﷺ، وكلام أئمة الدِّين، الذين يحكمون عدلاً، ويقولون حقاً، واطرحوا مازاد وإن أتى بما لم يأتِ به رسول الله ﷺ، فاضربوا به وجهه.

الحذرَ الحذرَ من مخالفة أمر النبيِّ العظيم، صلوات الله وسلامه عليه.

قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

كان العراق أخّاذة المشايخ، وغيبة العارفين، مات القوم، الله الله بمتابعتهم، أُخلفوهم بحسن التخلق، أُعقبوهم بصحة الصدق، لاتلبسوا ثوب قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ [مريم: ٥٩].

أي إخواني: لاتخجلوني غداً بين يدي العزيز سبحانه، وقد سبقكم أصحاب الأعمال المرضيات، كل نَفَس من أنفاس الفقير أعز من الكبريت الأحمر[١]، إياكم وضياع الأوقات، فإن الوقت سيفٌ إن لم يقطعه الفقير[٢] قطعه قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾.[الزخرف: ٣٦]، عليكم بالأدب فإن الأدب بابُ الأربَ.

---

(١) كقولهم: أعزَّ من بَيْض الأنوق، ويُقال: ذهبُ كبريت خالصٌ، أي: نادرٌ.

(٢) الفقير: أي السالك طريق الإيمان بصدق، وهو اصطلاح يعني الافتقار الى الله تعالى.

حكي عن سعيد بن المسيب[1] رحمه الله تعالى أنه قال: «من لم يعرف ماالله عليه في نفسه، ولم يتأدب بأمره ونهيه، كان من الأدب في عزلة».

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

سُئِل الحسن البصري[2] رضي الله عنه عن أنفع الأدب؟ فقال: «التفقه في الدين، والزهد في الدنيا، والمعرفة بحقوق الله تعالى على عبده».

وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه: «من قهر نفسه بالأدب، عَبَدَ الله بالإخلاص».

ومن الأدب أيضاً: الأدب مع المشايخ، فإنَّ من لم يحفظ قلوب المشايخ، سلَّط الله عليه الكلاب التي تؤذيه.

أدب صحبة من فوقك: الخدمة، ومن هو مثلك: الإيثارُ والفتوة، ومن دونك: الشفقة والتربية والمناصحة.

صحبة العارف مع الله بالموافقة، ومع الخلق بالمناصحة، ومع النفس بالمخالفة؛ ومع الشيطان بالعداوة.

إنكار العبد نعمة الله من موجبات السلب، إنَّا من الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون، إنَّ الله إذا وهب عبده نعمة مااستردها، شكر النعمة معرفة قدرها، من أراد أن تدوم نعمته فليعرف قَدْرَها، ومن أراد أن يعرف قدرها

---

(١) هو سعيد بن المسيب بن حزن، أبو محمد القرشي، أحد فقهاء المدينة السبعة، كان محدثاً، فقيهاً، ورعاً، زاهداً، توفي بالمدينة سنة٩٤هـ.

(٢) هو الحسن بن يسار، أبو سعيد البصري، من التابعين،إمام أهل البصرة، فصيح، ناسك، شجاع، ولد بالمدينة سنة ٢١هـ، شبَّ في كنف علي رضي الله عنه، عظمت هيبته في القلوب، توفي سنة١١٠هـ.

فليشكرها.

الشكر: ماقاله الجنيد[1] رضي الله عنه وهو: أن لايستعين العبد بنعمته تعالى على معصيته!

الشكر: وقوف القلب على جادة الأدب من المنعم.

الشكر: أن يتقي العبد ربه حقّ تقاته، وذلك أنْ يُطاع فلايُعصى، ويُذكر فلايُنسى، ويشكر فلايُكفر.

الشكر: اجتناب مايغضب المنعم تعالى.

الشكر: رؤية المنعم، لارؤية النعمة، قالت عائشة[2] رضي الله عنها: «أتاني رسول الله ﷺ في ليلة، فدخل معي في لحافي، حتى مسَّ جلدي جلده، ثم قال: «يَابِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ لِرَبِّي» قلتُ: إني أحب قربك، وأذنتُ له، فقام إلى قربة من ماء، فتوضأ وأكثر صب الماء، ثم قام يصلي، فبكى حتى سالت دموعه على صدره، ثم ركع فبكى، ثم سجد فبكى، ثم رفع رأسه فبكى، فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة، فقلت: يارسول الله! مايُبكيك وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر؟! فقال: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدَاً شَكُوراً[3]».

---

(١) هو الامام الجنيد بن محمد، أبو القاسم الخزاز كان أبوه يبيع الزجاج، فسمي القواريري تفقَّه على أبي ثور، وكان يُفتي، من كبار الصوفيين، التزم بالقرآن الكريم والسنة النبوية توفي سنة ٢٩٧هـ.

(٢) هي أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، بقيت تنشر الاسلام حوالي النصف قرن من الزمان بعد وفاة رسول الله ﷺ.

(٣) البخاري في التهجد(٨/ ٤٤٩و٣/ ٢٢)ومسلم في المنافقين(٢٨٢٠ و٢٨١٩) ونص الحديث: أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلتُ له: لِمَ تصنع هذا يارسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً».

قال داود عليه السلام: «أي ربِّ! كيف أشكرك وشكري لك نعمة من عندك؟ فأوحى الله إليه: الآن شكرتني».

الشكر: طلب المنعم، ورفض الدنيا ومافيها؛ طلب المنعم يصّح بالزهد، والزاهد من ترك الدنيا ولايبالي مَنْ أَخَذَها.

قال أمير المؤمنين عليٌّ رضوان الله عليه وسلامه:

دُنْيَا تُخَادِعُنِي كَأَنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ حَالَهَا
ذَمَّ الإِلَهُ حَرَامَهَا وَأَنَا اجْتَنَبْتُ حَلاَلَهَا
بَسَطَتْ إِلَيَّ يَمِينَهَا فَكَفَفْتُهَا وَشِمَالَهَا
وَرَأَيْتُهَا مُحْتَاجَةً فَوَهَبْتُ جُمْلَتَهَا لَهَا

قال العارفون: الزهد قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ، ولا لبس العباء، من زهد في الدنيا، وكل الله به ملكاً يغرس الحكمة في قلبه.

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَيُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ ولاَ فَسَاداً، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. [القصص: ٨٣]. ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوىٰ﴾[طه: ١٣٢]. كل الخير جعله الله في بيتٍ، وجعل مفتاحه التقوى.

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

## [التحذير من الدنيا]

أي سادة: أحذِّرُكُمُ الدنيا، وأحذِّركم رؤية الأغيار؛ الأمر صعب، والناقد بصير، إياكم وهذه البطالات، إياكم وهذه الغفلات، إياكم والعوالم، إياكم والمحدثات، اطلبوا الكلَّ بترك الكلِّ، من ترك الكُلَّ نال الكل، من أراد الكلَّ فاته الكل.

كلُّ ماأنتم عليه من الطلب لايصلحه إلا تركه والوقوف وراءه، وحُدوا المطلوب، تندرج تحت وحيدكم كل المطالب، من حصل له الله، حصل له كل شيء، ومن فاته الله، فاته كل شيء، بالله عليكم هذه المعرفة تمر؟ هيهات، هيهات! من خرج عن نفسه وغيره، وصفع أُبَّهَةَ طبعه[1]، تخلَّص من قيد الجهل.

ليس الأمر كما تظنون؟! جبة صوف، وتاج، وثوب قصير؛[بل] جبة حزن، وتاج صدق، وثوب توكل.

وقد عرفتم: العارف لايخلو ظاهره من بوارق الشريعة، وباطنه من نيران المحبة، يقف مع الأمر، ولاينحرف عن الطريق، وقلبه يتقلب على جمر الوَجْد، وجِدُه إيمان، ووقوفه إذعان: «الإِحْسَانُ: أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ[2]».

هكذا أخبر الصادق المصدوق؛ ألزمنا الإحسان أن نقف أمامه وقوف من يراه، وهو لاتخفى عليه خافية، علمٌ، وأمرٌ، وإرادةٌ، وبعدها الإمكان، وبعد الإمكان التكوين، وبعده التكليف، وبعده الفصل أو الوصل.

صدق العبودية أن يُسَلِّمَ العبد لسيده، الفقير إذا انتصر لنفسه تعب، وإذا سَلَّمَ الأمر لمولاه نصره من غير عشيرة ولا أهل.

## [صفة الدعاة إلى الله]

أقامنا الله أئمة الدعوة إليه، بالنيابة عن نبيه ﷺ، من اقتدى بنا سَلِمَ، ومن أناب إلى الله بنا غنم.

الحق يقال: نحن أهل بيت، ماأراد سلبنا سالبٌ إلا وسُلِب، ولانبح

---

(١) أُبَّهة طبعه: تكبره وصلفه.

(٢) قطعة من حديث مشهور رواه مسلم في الإيمان (٨) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخرجه الترمذي (٢٦١٣) وأبو داود(٤٦٩٥).

علينا كلب إلا وجرب، ولاهمَّ على ضربنا ضارب إلا وضُرِب، ولاتعالى على حائطنا حائط إلا وخرب: ﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]، ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦][١].

إنكار بوارق الأرواح جهل بمدد الفتّاح، لاتعطيل لكلمة الله: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتَابَ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٥].

يتولى أمورهم وأمور مناديهم، ومن ينزل بناديهم، حال حياتهم وبعد مماتهم، بلحوق علم منهم وبغير لحوق علم منهم، العبد إذا كان راحماً يستر النائم، ولايذكر له ذلك، يوصل الخير إلى الفقير ولايعرفه الخبر.

الله الرحمٰن، الرحيم، العظيم، الكريم، ينتصر لعبده الولي من حيث لايدري، يرزقه من حيث لايحتسب، تعصمه جبال عنايته من ماء غرق الأكدار والاقتدار، تدفع عنه وعن محبيه الأقدار بالأقدار، لابه، ولكن له التنزلات المحكمة، ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٨] من اعتصم بالله عُصِم، ومن وقف مع الأغيار ندم!

قال سيدي الشيخ منصور الربّاني رضي الله عنه[٢]: الاعتصام بالله ثقتك به، وتنزيه خواطرك عن غيره.

القوم أرشدونا، دَلّونا على الطريق، كشفوا لنا حجاب الإغلاق عن خزائن درر الكتاب والسُنَّة، عَرفونا حكمة الأدب مع الله ورسوله؛ هم القوم لايشقىٰ جليسهم، من آمن بالله وعرف شأن رسوله ﷺ أحبهم

---

(١) في هذا النص يُعمم الامام الرفاعي معنى أهل البيت فيجعله يشمل كل مؤمن صادق الإيمان والعمل، كما شمل الرسول ﷺ سلمان الفارسي بقوله: «سلمانُ منّا آل البيت» ويأت بالآيات الكريمة شاهداً على قوله.

(٢) هو الامام، الباز الأشهب، أبو المكارم منصور البطائحي الرباني، الأنصاري، الحسيني خال مؤلف الكتاب السيد أحمد الرفاعي، وأحد شيوخه الذين أخذ عنهم علوم الشريعة من فقه وحديث وأخلاق.

واتَّبعهم.

أي سادة: القوم بايعوا الله بصدق النيّات، وخالص الطويّات، على كثرة المجاهدات، وملازمة المراقبات والطاعات، والصبر على جميع المكروهات، وقال سبحانه وتعالى فيهم: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَاعَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

بادَروا ركوب العزائم بالعزم، وقوة الحزم، فهجروا المنام، وتركوا الشراب والطعام، وقاموا لله بالخدمة في حنادس[١] الليل والظلام، وخدموا بالخشوع والسهر والقيام، والركوع والسجود والصيام، وتململوا في محاريبهم بين يدي محبوبهم لنيل مطلوبهم، حتى وصلوا إلى مقام القرب ومحل الأنس، وظهر لهم سرُّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَانُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠] فأعطاهم الدرجة العليا، والمحل الأدنى[٢].

ولاريب فالقريب من القريب قريب، والمحب عند أحباب الحبيب حبيب، حبيب لهم، حبيب لمحبيهم، محبوب عند الله، ترفعه بركة محبته إلى درجة المحبوبية، ماشاء الله كان.

أي سادة: عليكم بالتقرب من أولياء الله، من والى وليَّ الله: والى الله، ومن عادى وليّ الله: عادى الله، من أحب عدوك، هل تحبه ياأخي؟! لا والله، الله أغير من الخلق، يغار ويفعل، وينتقم ويقهر.

من أحب محبك هل تبغضه؟! لا والله.

الله أكرمُ من الخلق، يحسن ويجمل، وينعم ويكرم، وهو أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، نِعَمُ الله تعالى تذكَر، من قربتَه من العزيز فهو

---

(١) حنادس: شديدة الظلمة (مادة حندس).

(٢) الأدنى: الأقرب.

قريب، ومن أبعدته عنه فهو بعيد.

أيها البعيد عنَّا: الممقوت منَّا، ماهذا منك يامسكين؟! لو كان لنا فيك مقصَد يشهد بحسن استعدادك، وخالص حبك إلى الله وأهله، اجتذبناك إلينا، وحسبناك علينا، شئت وإلاَّ، لكن الحق يقال: حظك منعك، وعدم استعدادك قطعك، لو حسبناك منَّا ماتباعَدْتَ عنا، خذ مني ياأخي علم القلب، خذ مني علم الذوق، خذ مني علم الشوق، أين أنت مني ياأخا الحجاب!، اكشف لي قلبك.

أي أخي: لو سمعت نصحي لتبعتني، لاتقل لو أخذتني تبعتك، أنا على النصيحة، وأنت على كل حال عليك أن تسمع وتتبع، اعمل بطاعة الله، وارضَ بقضاء الله، واستأنس بذكر الله تكن من أصفياء الله.

من عرف الله زال همه، العارف من هاجر وتجرد من الخلق.

أي سادة: المغبون من أنفق عمره في غير طاعة الله، والزاهد من ترك كل شيء يشغل عن الله، والمقبل من أقبل إلى الله، وذو المروءة من لم ينزل بدون الله، والقوي من استقوى بالله عليكم بتجريد التوحيد، وهو: فقدان رؤية ماسواه لوحدانيته.

إن قلتَ: ياالله! فقد ذكرتَه باسمه الأعظم، ولكن حرمتَ هيبته، لأنك تقول من حيث أنت، لا من حيث هو!

الغِنى الأكبر: الأُنس به سبحانه وتعالى، والفاقة العظمى: دوام الأنس بالموتى: وأغلظ حجب القلوب: الاستناد إلى المربوب.

معدن المعرفة: القلب. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ الله فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]

أي سادة: ﴿مَنْ يَتَّقِ الله﴾: بحفظ السر عن آفات الالتفات إلى السوى، ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ من حجب الإبعاد، ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ المشاهدة والوصلة

﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: من ٢-٣].

سببُ معرفة العبد ربَّه معرفة العبد نفسه «من عرف نفسه، فقد عرف ربه[١]» من عرف نفسه لربه، أفنى كليته بربه.

أوحى الله إلى داود عليه السلام: ألا من عرفني أرادني وطلبني، ومن طلبني وجدني، ومن وجدني لم يختر عليَّ حبيباً سواي:

عَجِبْتُ لِمَنْ يَقُولُ: ذَكَرْتُ رَبِّي وَهَلْ أَنْسَى فَأَذْكُرُ مَنْ نَسِيتُ؟!
أَمُوتُ إِذَا ذَكَرْتُكَ، ثُمَّ أَحْيَا وَلَوْلاَ مَاءُ وَصْلِكَ، مَاحَيِيتُ!
فَأَحْيَا بِالْمُنَى، وَأَمُوتُ شَوْقَاً فَكَمْ أَحْيَا عَلَيْكَ؟ وَكَمْ أَمُوتُ؟!
شَرِبْتُ الْحِبَّ كَأْسَاً بَعْدَ كَأْسٍ فَمَا نَفِدَ الشَّرَابُ، وَمَارَوِيتُ!

عليكم أي سادة: بذكر الله، فإن الذكر مغناطيس الوصل، وحبل القُرْب، من ذَكَرَ الله طاب بالله، ومن طاب بالله وصل إلى الله، ذكرُ الله يَثْبُتُ في القلب ببركة الصحبة، المرءُ على دين خليله، عليكم بنا، صحبتنا ترياق[٢] مجرب، والبعدُ عنّا سُمٌّ قاتل.

أي محجوب: تزعمُ أنك اكتفيت عنَّا بعلمك؟! ماالفائدة من علم بلا عمل؟! ماالفائدة من عمل بلا إخلاص؟! الإخلاص على حافة طريق الخطر، مَنْ ينهضُ بكَ إلى العمل؟ مَنْ يُداويك من سُمِّ الرياء؟ من يدلُّك على الطريق القويم بعد الإخلاص؟ ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. هكذا أنبأنا العليم الخبير. تظنُّ أنك من أهلِ الذِّكْر؟! لو كنتَ منهم ماكنتَ محجوباً عنهم، لو كنتَ من أهل الذِّكْر ماحُرمتَ ثمرة الفكر، صدَّك حجابُك، قطعك عملك، قال عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ

---

(١) أي مَنْ عرف نفسه مخلوقاً عاجزاً مقهوراً بالموت والمرض وغير ذلك، عَرَفَ ربَّه خالقاً عظيماً قديماً قادراً ليس كمثله شيء، سميع بصير.

(٢) ترياق: دواء.

لاَيَنفعْ[1]».

لازم أبوابنا، أي محجوب: فإنَّ كل درجة وآونة تمضي لك في أبوابنا درجة وإنابة إلى الله تعالى، صحَّت إنابتنا إلى الله، قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥].

## [نداء إلى المتصوفين]

أيها المتصوف: لِمَ هذه البطالة؟ صِرْ صرفياً حتى نقول لك: أيها الصوفي[2].

أي حبيبي: تظن أن هذه الطريقة تورث من أبيك، تسلسل من جدك، تأتيك باسم بكر وعمرو، تصير لك في وثيقة نسبك، تنقش لك على جيب خرقتك، على طرف تاجك، حسبتَ هذه البضاعة ثوب شعر، وتاجاً وعكازاً ودلقاً، وعمامة كبيرة، وزِيّاً صالحاً، لا والله، إن الله لاينظر إلى كل هذا، ينظر إلى قلبك كيف يفرغ فيه سره، وبركة قربه، وأنت غافل عنه بحجاب التاج، بحجاب الخرقة، بحجاب السُبحة، بحجاب العصا بحجاب المسوح! إيش هذا العقل الخالي من نور المعرفة؟ إيش هذا الرأس الخالي من جوهر العقل؟ ماعملتَ بأعمال الطائفة، وتلبس لباسهم يامسكين!.

ياأخي: لو كلَّفْتَ قلبك لباس الخشية، وظاهركَ لباس الأدب، ونفسكَ

---

(١) قطعة من حديث بقيته: «...ومن قلبٍ لايخشع، ومنْ نفسٍ لاتشبع، ومن دعوة لايُستجاب لها» مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٢) والترمذي(٣٥٦٧) والنسائي(٨/ ٢٦٠).

(٢) الصوفي: في اصطلاح الصوفيين يختلف عن المتصوِّف، فالاول أصيل في التزامه بالشرع ظاهراً وباطناً، والثاني: يحاول الوصول ومايزال في أول الطريق، له منه رسومه وظواهره دون الحقائق والأحوال.

لباس الذلّ وأنانيتكَ[1] لباسَ **المحو**[2]، ولسانكَ لباس الذِّكر؛ وتخلّصت من هذه الحجب، وبعدها تلبّسْتَ بهذه الثياب، كان أوْلَى لك ثم أولى، لكن كيف يُقال لك هذا القول، وأنت تظنُّ أن تاجك كتاج القوم، وثوبك كثَوْبهم! كلاَّ، الأشكال مؤتلفة والقلوب مختلفة.

لو كنتَ على بصيرة من أمرك، خلعتَ أباك وأمك، وجدَّك وعمك، وقميصك وتاجك، وسريرك ومعراجك، وأتيتنا بالله.

وبعد حسن الأدب: لبستَ، وأظنك بعد الأدب، تقطع نفسك عن الثوب والعوارض القاطعة.

أي مسكين: تمشي مع وهمك، مع خيالك، مع كذبك، مع عُجُبك وغرورك، وتحمل نجاسة أنانيتك، وتظن أنك على شيء! وكيف يكون ذلك؟ تعلَّم علم التواضع، تعلَّم علم الحيرة، تعلَّم علم المسكنة والانكسار.

أي بطال: تعلمتَ علم الكِبْر، تعلمتَ علم الدعوى، تعلمتَ علم التعالي، إيش حصل لك من كل ذلك؟ تطلب هذه الدنيا الجايفة، بظاهر حال الآخرة؟! لبئس ماصنعتَ، ماأنتَ إلا كمشتري النجاسة بالنجاسة، كيف تغفل نفسك بنفسك، وتكذب على نفسك وأبناء جنسك؟ لايقرب المحبُّ من محبوبه، حتى يبعد عن عدوه.

رمى بعض المريدين ركْوته في بعض الآبار ليستقي الماء، فخرجت مملوءةً بالذهب! فرمى بها في البئر، وقال: ياعزيزي! وحقِّك لاأريد غيرك.

---

(١) لعلّها: إنيّتك: أي: ذاتك ونفسك.

(٢) المحو: اصطلاح صوفي يُعَرِّفه الإمام القشيري بقوله: المحو: رفع أوصاف العادة، وإقامة أحكام العبادة، فمن نفى عن أحواله الخصال الزميمة، وأتى بدلاً منها بالأفعال والأحوال الحميدة، فهو صاحب محو (الرسالة ٧٣). انظر تذكّر الحديث القدسي: «فبي يسمع وبي يُبصر».

مَنْ أثبتَ نفسَهُ مُريداً، صار مراداً، مَنْ أثبت نفسه طالباً، صار مطلوباً، مَنْ عكف على الباب دخل الرّحاب، ومَنْ أحسن القصد بعد الدخول تصدَّر في غرفة الوصلة.

دخل عليٌّ كرم الله وجهه ورضي عنه[1] مسجدَ رسول الله ﷺ، فرأى أعرابياً في المسجد يقول: إلَهي! أريد منك شويهة[2]، ورأى أبابكر الصدِّيق رضي الله عنه في زاوية أخرى يقول: إلَهي! أريدك. شتَّان مابين المرادين، شتَّان مابين الهِمَّتين.

تلعب الآمال بالعقول، تلعب بالهمم، كلٌّ يطير بجناح همته إلى أمله ومقصد قلبه، فإذا بلغ غاية همته وقف فلم يجاوزها، قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤] أي: على نيّته وهمّته.

أي أخي: لاتجعل غاية همتك، ومنتهى قصدكَ: أن تمر على الماء، أو تطير في الهواء؛ يصنعُ الطير والحوت ماأردتَ، طِرْ بجناح هِمّتك إلى مالا غاية له؛ العارف المتمكّن لاشيء عنده من العرش إلى الثرى[3]، أعظم من سروره بربه، والجنة وكلّ مافيها في جنب سروره بربه أصغر من خردلة ملقاة في أرضٍ فلاة.

مِنْ خساسة النفس، ودناءة الهمة، وقلة المعرفة: اشتغالك بالنعمة عن

---

(١) هو أمير المؤمنين الخليفة الراشد الرابع، ابن عم رسول الله ﷺ، أول مَنْ أسلم من العلماء، ماسَجَدَ قطُّ لصنم، دامت خلافته ست سنوات، استشهد سنة ٤٠هـ.

(٢) شويهة: تصغير «شهوة».

(٣) من العرش إلى الثرى: أي من السماء إلى الأرض، لأن الثرى = التراب، وكما يُقال: من الثرى إلى الثريا. والثريا=مجموعة أنجم تظهر مجتمعة في السماء تشبه الثريا المنزلية.

المنعم.

العارفون تجرَّدوا عن الدارَيْن، وطلبوا ربَّ العالمين، تجردوا عن النفس والولد.

أوحى الله تعالى إلى يعقوب عليه السلام ـ لما قال: ياأسفا على يوسف: إلى متى تذكر يوسف؟! أيوسف خلقَكَ، أو رزقَكَ، أو أعطاكَ النبوَّة؟ فبعزتي لو كنتَ ذكرتني، واشتغلتَ بي عن ذكر غيري، لَفَرَّجْتُ عنكَ من ساعتك. فعلم يعقوب عليه السلام أنه مُخطىء في ذكره يوسف، فأمسك لسانه عن ذكره.

قال موسى عليه السلام: إلَهي! أقريب أنت فأناجيك؟ أم بعيدٌ فأناديك؟ فقال الله تعالى: أنا جليسٌ لمن ذكرني، وقريب ممن أَنِس بي، أقرب إليه من حبل الوريد.

أي سادة: قال أهل الله رضي الله عنهم: مَنْ ذكر الله، فهو على نورٍ من ربِّه، وعلى طمأنينةٍ من قلبه، وعلى سلامةٍ من عدوِّه.

وقالوا: ذِكر الله طعامُ الروح، والثناءُ عليه تعالى شرابُها، والحياء منه لباسها.

وقالوا: ماتنعَّم المتنعمون بمثل أُنسه، ولاتلذَّذ المتلذِّذون بمثل ذِكره.

وجاء في بعض الكتب الإلَهية:[١] أن الله تعالى قال: ﴿مَنْ ذكَرني في نفسِهِ ذكرتُهُ في نَفْسي، وَمَنْ ذكرني في ملأٍ ذكرتُهُ في ملأٍ، ومَنْ ذكرني مِنْ حَيْثُ هُوَ، ذكرتُهُ مِنْ حيثُ أنا، ومَنْ ذكرني من حيث هو، أعطيته مِنْ حيث أنا[٢]﴾.

---

(١) المقدسة.

(٢) قطعة من حديث قدسي، انظر البخاري(١٣/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦)، ومسلم(٢٦٧٥) والترمذي(٣٥٩٨).

القوم شغلَهُمْ ذِكره، ومقصدهم هو، يَرَوْن أن الحوادث الكونية تقوم بقضائه وقدره، فلا يعارضوها لابقلب ولابلسان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

قال ابن عباس[(١)] رضي الله عنهما: مامِنْ مؤمنٍ إلاّ وعلى قلبه شيطان، إذا ذَكَرَ الله خَنس، وإذا نسيَ الله وَسوس.

## [من صفات الصالحين]

أي سادة: لو أن العالم فريقان: فريق يبخِّرني بالنَدِّ والعنبر، وفريق يقرض لحمي بمقاريض من نار، مانقص هؤلاء عندي! ولازاد هؤلاء عندي، لعِلْمِي أن ذلك من مجاري الأقدار. إذا قطعتم حبل المعارضة بسكِّين التسليم له ذكرتموه.

جاء في الخبر: «اذْكُرِ الله حَتَّى يَقُولُوا مَجْنُونٌ[(٢)]».

أي سادة: هذه الخيالات الباطلة، أخذَتكم من وادٍ إلى واد، وهذه الحجب الغليظة، حولَتكم من مقامٍ إلى مقام، لبست الهمة أن يقف الرجل عند حجابه، بل الهمة أن يفتق شراع الحجاب، ويتدلى إلى الرحاب.

صوارمُ الهمم تفعل مالايمر بالأوهام، حجُب القلوب لاتُشق إلا بسهام القوِلب. قال عليٌّ أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) هو عبد الله بن عباس، ابن عمّ رسول الله ﷺ، لازمه، وروى عنه كثيراً ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين، والمسلمون محاصرون بالشِّعب، كان ذا علمٍ غزير، يُنسب إليه كتاب في تفسير القرآن الكريم توفي بالطائف سنة ٧١هـ، وقيل: ٦٨هـ.

(٢) نص الحديث: «اذكروا الله ذكراً كثيراً حتى يقولوا: مجنون» مسند أحمد ٣/ ٦٨، ٧١، وابن حبان ٨٠٥، والحاكم ١/ ٤٩٩، ومجمع الزوائد ١٠/ ٧٥ ـ ٧٦ واسناده ضعيف.

دَوَاؤكَ مِنْــكَ وَمَــا تُبْصِــرُ وَدَاؤُكَ فِيــكَ وَمَــا تَشْعُــرُ
وَتَــزْعُــمُ أَنَّــكَ جُــرْمٌ صَغِيــرٌ وَفِيــكَ انطَــوَى الْعَــالَــمُ الأكْبَــرُ

العالم الأكبر: العقل، وقد انطوى بك، ومن العالم المطوي فيك، يظهر لك جرمك الذي استصغرته، إذ لولا وصول جرمك إلى الغاية التي تحيط بذلك العالم الأكبر، وتليق له، لما صار محلاً للعالَم المذكور، فخذ بالهمة العلية على مقدار مابلغه جرم هيكلك، من الإحاطة بالعالم الأكبر، الذي يمتد شعاع مادته إلى كل مقام، وتنتهي بوارق رسله إلى كل حيطة، وتشق عزائم مداركه صفَّ كل معمعة، وتبلغ نِجَابُ فكرته إلى كل حضرة؛ به الله يعطي ويمنع، ويصل ويقطع، ويفرّق ويجمع، ويضع ويرفع، وعليه جعل مدار الأكوان، وهو أول مخلوق من المواد الكبرى الآدمية.

أنبأنا الحبيب الكريم، والسيد العظيم، عليه صلوات الله وتسليماته: «إِنَّ أَوَّلَ مَاخَلَقَ اللهُ الْعَقْلَ[1]». فإذا علمتم ماانطوى فيكم، عظَّمتم شأن ذواتكم، واحتفلتم بإعلاء شرف صفاتكم، حتى تسموَ عن منزلة الحجاب؛ بالقوة، بالجمال، بالمال، بالأهل، بالعشيرة، بالمنصب، بالرياسة.

قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه:

وَكُــلُّ رِيَــاسَــةٍ مِــنْ غَيْــرِ عِلْــمٍ أَذَلُّ مِنَ الْجُلُوسِ عَلَى الْكُنَاسَةِ

العقل عاقل العلم، لايتم شرف العلم للمخلوق إلا بالعقل، قال جماعة بإعلاء قَدْرِ العلم على العقل، ولكن ذلك بالنسبة إلى الله، لأن العلم صفته تعالى، والعقل صفة المخلوق، وأما بالنسبة إلى علمنا وعقلنا، فعقلُنا أجلُّ مرتبة، وأرفع منزلة من عِلمنا، إذ لولا العقل لما تمَّ لنا العلم.

---

(١) الطبراني في «المعجم الأوسط» بإسناد ضعيف. والصحيح في هذا الموضوع ماارواه ابن عمر وابن عباس: «أوّل شيء خلقه الله القلم....»[الطبري ٢٩/١٠].

العاقل: يكبو ويُصرع، ولكن يُؤَمل له النجاح، ويُرجى له الخير، والأحمق: يُصرع ويكبو، ويُخشى عليه القطيعة وعدم النجاح، العاقل: من فهم حكمةَ الدِّين.

بلغنا عن الإمام عليٍّ أمير المؤمنين كرم الله وجهه، ورضي الله عنه أنه قال: كل عقلٍ لم يُحَطْ بالدِّين فليس بعقل، وكلُّ دينٍ لم يُحِطْ بالعقل فليس بدين.

هذا الدين أتى بأحكام ألزمنا المُبلِّغ ـ عليه الصلاة والسلام ـ العمل بها، ووعد وأوعد؛ فإذا ترَيَّض العقل بالعمل والاجتناب، يصل إلى الإحاطة بسر الوعد والوعيد.

أي سادة: تفكَّروا، هل من عقل ذكي قرَّ بطبع سليم، يجهل حكمة الأوامر والنواهي الدينية ويردها؟! لا والله؛ بل كل عاقل ذكي العقل، سليم الطبع، تعكف أشعة عقله على عتبة باب الأمر والنهي، علماً يجمعها بين خَيْرَيْ الدنيا والآخرة، ومابقي عندكم إلا ماجاء في الوعد من فضل الله وكرمه. وفيه أبحاث عليَّة، تُذَكِّر عجائب قدرته تعالى، وماجاء في الوعيد من بطش الله وعدله. وفي أبحاث غامضة، تُذَكِّر غرائب عظمة الألوهية، يشهد على كونها: طبعُك وحجابك، وفهمك وفكرك، وكل ماتراه من المشهودات الكونية: العلوية والسفلية، حجبك عن حقيقةٍ كشفها عدم استعدادك، وقلة قابليتك وقطيعتك، ودناءة همتك.

أين الرياضة التي جلَتْ عن مرآة عقلك غبارَ غفلتك؟!

أين متابعة الدليل الأعظم ﷺ بكل ماجاء به قولاً وفعلاً؟! وحالاً وخُلُقاً؟!

هاتِ، هذه النقود[1]، واطلب بعدها البضاعة، أيصحَ لبواب الملك،

---

(١) أي الذكر والفكر والمتابعة، وهي هذا البدايات والوسائل. فلا بدَّ أن تصل الى =

أن يُنكر على جلاّسه، مايذكرونه من زينة داره، وأمتعة بيته، وحسن ألبسته، وأوانيه، وأسلحته، ومخزوناته، وشدة عقابه وبطشه في من يغضب عليه، وكثرة عوائده وفوائده وإحسانه إلى مَنْ يحبه ويقربه؟. كيف يصحّ ذلك للبواب، وهو مسكين محجوب بما هو فيه من عقله، أن يجتهد لإحراز رتبة المجالسة، كي يرى ماراَه جلاّس الملك؟ هذا أجمل من إنكاره، وأعم مكرُمةً وأحسن حالاً، وألم عاقبة، وأصلح شأناً.

إذا طُبِعتْ مرآة بصيرة القلب بتراكم صدأ الغفلة عن الربِّ، توارت وجوه الحقائق عن بواطن الإفهام، وامتنع عنها إنفاذ نور الإلهام، فأظلم وجه البيان بتصاعد أبخرة الخيالات، وغمامات الأوهام، مايغني الشمس عن المكفوف مع كمال إشراقها، وماله عيون تقبل منه نورها وبرهانها، ومايجدي فرط الإشراق مع ضعف الأحداق.

نحن في موقف إشراق شمس القدرة، وعيون أفهامنا ضعيفة، وبغمامات الغفلة محتجبة، فما لنا عيون تصلح لرؤية ذلك الجمال، ولاقلوب تحمل مهابة تلك العظمة وعزة ذلك الجلال.

كلنا تجري بنا سبل الفناء، وتقذفنا في أغوار غاياتنا المُغَيَّبَة عنا، المحجوبة دوننا. كلنا تجري سفن المنايا برياح حرصنا، وشِراع أطماعنا، في بحار آمالنا، وتقذفنا في لجج آجالنا، وهمومنا موكلة بقضاء مهماتنا عن عاجل أمورنا، وأيدي الحوادث تتلاعب بنا، وهواتف الفناء تزعجنا:

**النَّـــاسُ فِـــي غَفَـــلاَتِهِـــمْ   وَرَحَـــىٰ الْمَنِيَّـــةِ تَطْحَـــنُ**

**مَـــا دُونَ دَائِـــرَةِ الـــرَّحَـــى   حِصْـــنٌ لِمَـــنْ يَتَحَصَّـــنُ**

كل يوم ينادي مَلك الموت من بين أيدينا ومن خلفنا: **﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ﴾** [النساء: ٧٨]. وظلمات أجداثنا[١] تنتظر ولوج

---

= النهايات وتحصد النتائج.

(١) الجَدَثُ: القبر، جمعه: أجداث، وأجدُثٌ.

أجسادنا، ونحن غرقىٰ في غمرة غفلاتنا، وسكرة شهواتنا.(١)

فيا أيها العاقل: إلى متى تصرف نفسك عن طريق النجاة، إلى سبيل المعاطب والمهلكات؟ وتصرفها عن فسحة الطاعات، إلى مضايق المخالفات؟ وتعرضها لما بين يديها، وتسقيها من كؤوس الخطيئات وأدناس السيئات؟ وتوردها موارد الفتن والآفات؟!.

أي أخي: العمر قصير، والناقد بصير، وإلى الله المصير:

يَـا أَيُّهَـا الْمَعْـدُودُ أَنفَـاسُـهُ لاَ بُـدَّ يَـوْمـاً أَنْ يَتِـمَّ الْعَـدَدْ
لاَ بُـدَّ مِـنْ يَـوْمٍ بِـلاَ لَيْلَـةٍ وَلَيْلَـةٌ تَـأْتِـي بِـلاَ يَـوْمِ غَـدْ

## [التفكر في مخلوقات الله]

أي سادة: الفِكْر أول أعمال النبي ﷺ، كان قبل فريضة المفروضات عبادته التفكر في آلاء الله ومصنوعاته، حتى كُلِّف ما كُلِّف عليه صلوات الله وسلامه، فعليكم بالتفكر في آلاء الله، وأخذ العبرة من الفكرة، فإن الفكرة إذا خلت من العبرة بقيتْ وسواساً وخيالاً، وإذا أنتجت العبرة، بقيت واعظاً وحكمة.

أحكِموا الأعمال بعد التفكّر على أصل صحيح، وأحكموا الأخلاق بعد الأعمال على طريق مليح، وزيِّنوا كل ذلك بالنية، وخذوا بحبال السخاء، فإنه من علامات الزهد، وأقول: هو باب الزهد، وأقول: إذا صحّ وعلَتْ طبقة كل الزهد، وهو أول قدم القاصدين إلى الله قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٣ـ ٥].

---

(١) لأن الموت يأتي فجأة، وأحياناً دون سابق إنذار من مرض وغير ذلك.

أيِّدوا عقدة حبل الوصلة مع الله، بغضِّ الطرف عما تراه أبصاركم، مِن النكس عند الخلق، طمعاً بتعمير الحق، فإنه تعالى يقول: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ [يسٓ: ٦٨].

لا تجعلوا منتهى أنظاركم وغاية أبصاركم: رؤية الخلق؛ ملوكهم وأواسطهم والطبقة السفلى منهم، على حال واحد في العجز والفقر والمسكنة؛ حُجُبٌ قامت على العيون سَتَرَ بها الخالق خلْقَهُ، وقضى فيهم بأمره، فالعاقل من أدرك هذا الشأن، وأعرض عن الحجاب والمحجوب، والتجأ إلى المقيم القديم، الذي لا تأخذه سِنَة ولا نوم ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

لا تُطلقوا ألسن العلماء ومعها قلوب الجبابرة وجراءة الزنادقة، وفجور الكفرة[١]، إذا أطلقتم الألسن.

أمسِكوا الجوارح والقلوب عن كلِّ ما يُغضب الملك العدل، اللطيف الخبير، أَحْسَنُ حالاً مع الله، وأَحْسَنُ مع الناس، وأَحْسَنُ معكم في أنفسكم: إذا خلَوْتم، إذا جلَوتم، إذا مُتُّم، إذا بُعِثتم، إذا سُئلتم: ﴿هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩] الله ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

الله، الله، أُحذِّركم الله امتثالاً، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨ و٣٠] أمراً، فقابلوا النصيحةَ بالقبول، وقابلوا الأمرَ المطاع بالامتثال، وإياكم ومحاربة الله، فما فاز مَنْ حادَّ الله، ولا ذلَّ مَنْ والى الله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

صحت أسانيد الأولياء إلى رسول الله ﷺ، تلقّن منه أصحابه كلمة

---

(١) أي: اجعلوا قلوبكم وجوارحكم مثل ألسنتكم التي تتكلم بكلام العلماء، وليكن اللسان ناطقاً بالحَقِّ، موافقاً لأعمالٍ ونفوسٍ إيمانية. وقلوبٍ مُتَلَهِّفَة إلى هدي العباد، والتواضع لهم.

التوحيد، جماعة وفرادى، واتصلت بهم سلاسل القوم، قال شداد بن أوس[1] رضي الله عنه: كنا عند النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ؟» يعني من أهل الكتاب قُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ الله! فَأَمَرَ بغَلْقِ الْبَابِ، وَقَالَ: «ارْفَعُوا أَيْدِيكُمْ وَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلاَّ الله، فَرَفَعْنَا أَيْدِينَا سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: الحَمْدُ لله، اللَّهُمَّ إِنَّكَ بَعَثْتَنِي بِهٰذِهِ الكَلِمَةِ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا الْجَنَّةَ، وَإِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ» ثم قال ﷺ: أَلَا أَبْشِرُوا، فَإِنَّ الله قَدْ غَفَرَ لَكُمْ» هذا وجه تلقينة صلوات الله وسلامه عليه أصحابَهُ جماعةً؛

وأما تلقينه عليه الصلاة والسلام جماعة منهم فُرادىٰ، فقد صحَّ أن علياً رضيَ الله عنه، سأل النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله! دُلَّني على أقرب الطرق إلى الله وأسهلها على عباده، وأفضلها عند الله تعالى؟ فقال ﷺ: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلاَّ الله، وَلَوْ أَنَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ والأَرَضِينَ السَّبْعِ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلاَّ الله فِي كفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِمْ لَا إِلَهَ إِلاَّ الله»[2] ثم قال رسول ﷺ: «لاتقومُ السَّاعة وعلى وجهِ الأرضِ مَنْ يقول: الله، الله»[3].

فقال رضي الله عنه: كيف أَذْكُرُ يا رسول الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «أغمِضْ عينيكَ واسمعْ مني ثلاث مرات، ثم قل أنتَ ثلاث مرات وأنا أسمع» فقال ﷺ: «لا إِلَه إِلاَّ الله» (ثلاث مرات) مُغمضاً عينيه، رافعاً صوته، وعليٌّ يسمع؛ ثم قال علي رضي الله عنه: لا إِلَه إِلاَّ الله (ثلاث مرات) مُغمضاً عينيه رافعاً صوته، والنبي ﷺ يسمع.[4]

---

(١) هو شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري، من أمراء الصحابة، تولَّى أمارة حمص، وحين استشهد عثمان اعتزل وعكف على العبادة، توفي في القدس سنة ٥٨ هـ. روى ٥٠ حديثاً.

(٢) الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨١)، والحاكم في «المستدرك» ١/ ٥٠١.

(٣) مسلم في الفتن ٢٧٩٣.

(٤) لم أجِدْهُ في كتب الحديث، ولعلَّه زيادة من الناسخ، لأن الإمام الرفاعي عوَّدنا =

وعلى هذا تسلسل أمر القوم، وصحَّ توحيدهم، وتجرَّدوا عن الأغيار[١] بالكلية، وأسقطوا وَهْمَ التأثير من الآثار، وردوها بيد اعتقادهم الخالص إلى المُؤَثِّر، وقاموا على قدم الاستقامة، فكملت معرفتهم، وعلت طريقتهم.

فعامِلُوا الله كما عامَلوه، تحصل لكم المناسبة مع القوم، ويتم نظام أمركم وراءهم، فتكون أقدامكم على أقدمهم.

## [مجالس الذكر والذاكرين]

القوم سمعوا وطابوا، ولكنهم سمعوا أحسنَ القول فاتبعوه، وسمعوا غير الحَسَنِ فاجتَنَبوه، تحلَّقوا وفتحوا مجالس الذكر، وتواجدوا وطابت نفوسهم، وصعدت أرواحُهم، لاحت عليهم بوارق الإخلاص حالة ذكرهم وسماعهم، ترى أن أحدهم كالغائب على حال الحاضر، كالحاضر على حال الغائب، يهتزون اهتزاز الأغصان التي تحركت بالوارد لا بنفسها.

يقولون: لا إِلَهَ إِلاَّ الله، ولا تشتغل قلوبهم بسواه. يقولون: الله، ولا يعبدون إلا إِيَّاه. يقولون: هُوَ، وبه لا بغيره يتباهَوْن، إِذا غنَّاهم الحادي يسمعون منه التذكار، فتعلو همتهم في الأذكار.

لك أن تقول يا أخي: الذكر عبادة، فما الذي أوجب أن يذكر في حلقته كلام العاشقين وأسماء الصالحين؟.

ولكن يقال لك: الصلاة أجلُّ العبادات، يُتلى فيها كلام الله، وفيه الوعد والوعيد، ويقال في تحية الصلاة: السلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

ما أشرك المصلي، ولا خرج عن بساط عبادته، ولا عن حد عبوديته؛

---

= أن يستشهد بالأحاديث الصحيحة والمسندة.

(١) الأغيار: كلُّ ما سوى الله تعالىٰ.

وكذلك الذاكر، سمع الحادي يذكر اللقاء، فطاب بطلب لقاء ربه: «مَنْ أَحَبَّ لقَاءَ الله، أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ[1]».

سمع الحادي يذكر الفراق، فتأهب للموت، وتفرغ من حب الدنيا: «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ[2]».

سمع الحادي يذكُرُ الصالحين، فتقرّب بحب أحباب الله إلى الله، هذه من الطرق التي بعدد أنفاس الخلائق إلى الله:

غَنَّىٰ بِهِمْ حَادِي الأَحِبَّةِ فِي الدُّجَىٰ ... فَـأَطَـارَ مِنْهُـمْ أَنْفُسـاً وَقُلُـوبَـا
فَـأَرَادَ مَقْطُـوعُ الْجَنَـاحِ بُثَيْنَـةَ ... وَهُمُـوا أَرَادُوا الْـوَاحِـدَ الْمَطْلُـوبَـا

نعم يؤاخذ الكاذب، يحرم عليه السماع، يلزم بعدم الحضور في مجالسه حتى يصدق، أين أولئك؟ كادوا يدخلون أعداد الملائك، غلبوا نفوسهم فاضمحلت، وطاروا بأجنحة الأرواح فسارت بهم، ودنَتْ فتَدلَّتْ، وقليلٌ ما هم، أخلصوا، فتخلَّصوا من قيد الرِّقِّية، ووصلوا إلى مقام الحرية، ما ملكتهم الأغيار، كلا؛ بل هم الأحرار كل الأحرار، كانوا وبانوا[3].

رحم الله القائل:

أَتَمَنَّـىٰ عَلَـىٰ الـزَّمَـانِ مُحَـالاً ... أَنْ تَـرَىٰ مُقْلَتَـايَ طَلْعَـةَ حُـرِّ

ما قلت لك يا أخي: ذهب القوم لإساءة ظنٍ بأهل الوقت، ولكن القول على الغالب: نحن في زمان عمَّت به الجهالة، وكثرت به البطالة، وفشت فيه الدعوى الكاذبة، ونقلت فيه الأخبار المزخرفة:

إِيش نعمل؟ تحرد علىٰ مَنْ؟ أكثر الناس سلكوا هذه الطرق، دارِهم ما

---

(1) مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٨٤).

(2) البيهقي في «شعب الإيمان» (المقاصد الحسنة ١٨٢).

(3) بانوا: من (البَوْن): وهو المسافة بين شيئين، وهنا: بعُدُوا.

دُمْتَ في دارِهم، وحيِّهم ما دمتَ في حيِّهم، ولكن ما الفائدة من مداراةٍ تأخذهم بها العزة، ومن تحية تمكّن فيهم الغفلة: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الحِجر: ٩٤] ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

## [الراقصون ليسوا بذاكرين]

إِيش أَعمل بالسماع الذي رقص فيه الراقص بغير قلب، ونجاسة النفس لطختة؟! كيف يُحسب برقصه ونقصه من الذّاكرين؟.

وَرُبَّ تَـالٍ تَـلاَ الْقُـرْآنَ مُجْتَهِـداً بَيْـنَ الْخَـلاَئِـقِ وَالْقُـرْآنُ يَلْعَنُـهُ

لله ملائكة، جُرْدٌ مُرْدٌ، تحت العرش يرقصون، ويذكرونه تعالى، ويهتزون لِذِكْرِه؛ هذه أرواحُ رقصت بالله لله، وأنت يا مسكين! ترقص بنفسك لنفسك، أولئك الذاكرون، وأنت المغبون المفتون! سمى القوم الهزَّ بالذِّكر: رقصاً إِذا كان وارد الهِزَّة من الروح، فنسبوا الرقص للروح لا للجسم، وإِلاَّ فأين الراقصون؟ وأين الذاكرون؟ طلب هؤلاء حق، وطلب هؤلاء ضلال.

سَـارَتْ مِشَـرِّقَـةً وَسُـرْتُ مُغَـرِّبَـا شَتَّـانَ بَيْـنَ مُشَـرِّقٍ وَمُغَـرِّبِ

الراقصون كذّابون، والذاكرون مذكورون[(١)]، بين الملعون والمحبوب بَوْنٌ عظيم، إِذا دخلتم مجالس الذكر فراقبوا المذكور، واسمعوا بأذن واعية.

إِذا ذَكَرَ الحادي[(٢)] أسماءَ الصالحين، فألْزِموا أنفسكم اتِّباعهم، لتكونوا

---

(١) يعني .بكلمة «مذكورون» قولَ الله تعالى: ﴿فَاذْكُروني أذكركم..﴾ [البقرة: ١٥٢].

(٢) الحادي: المُنشِدُ ينشُدُ المدائح النبوية، وذكر الصالحين.

معهم «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[1] أوجَبُوا عليكم التخلق بأخلاقهم، خذوا عنهم الحال، والوَجْدُ الحقُّ، الوجد الحق وجدان الحق.

لا تعملوا بالهوىٰ، لا أقول لكم: إني أَكره السماع، لتحققي في مقام سماع القول واتباع أحسنه، ولكن أقول لكم: إني أكره السماع للفقراء القاصرين عن هذه المرتبة، لما فيه من البليات الموقعة في أشد الخطيئات، وإذا كان ولا بدّ فمن حادٍ أمين مخلص، يمدح الحبيبَ عليه الصلاة والسلام، ويُذَكِّر بالله، ويذكرُ الصالحين، وهناك وقفوا[2].

وعلى المرشد العارف أن يأخذ من السماع الحصة اللازمة، ويفيضها على قلوب أهل حضرته بإذن الله وقدرته، فإن الحال يسري كسريان الرائحة في المشام[3]؛ ونقطة الإخلاص إكسير.

الرجل من يُربِّي بحاله، لا مَنْ يربِّي بمقاله، وإذا جمع بين الحال والمقال، فهو الرجل الأكمل.

أخذتم هذه المواكب عدة، لقمع شوكة الكافرين والصابئين، وأصحاب الزيغ، والذين في قلوبهم مرض في هذه البقاع لإرهابهم،

---

(١) سبق تخرجه.

(٢) إنَّ مُدَّاح الحبيب المصطفى ﷺ مأجورون من الله تعالى، إن كانوا على المنهاج النبوي الصحيح؛ والشعر في مجال المدح والثناء كثير، غير أن بعضهم يخوض في الغزليات، ويذكر الخمرة، ويذكر الحانة! فيكون المقام مقام صالحين، فيلتفت بعض المقصِّرين إلى ذكر مالا يجوز ذكره، فترى الجوَّ قد تغير، وبدأ الهزل والخلط باسم الدين، أو باسم السادة الصوفية، أو باسم الشيخ فلان! وكنتُ قد نصحتُ بعض المنشدين بأن لا يتعرَّضوا بمدائحهم إلى ما لا يجوز ذكره شرعاً، فمنهم من قَبِل، ومنهم من بدأ يتفلسف بما لا يعرف! أصلحنا الله وسدَّد خطانا على المنهاج النبوي. (الشيخ عبد الغني نكَه مي)

(٣) الشمُّ: حسُّ الأنف، وتشامًا: شم أحدهما الآخر. والمشام= تقال فيمن يشمّ الرائحة.

ولإعلاء كلمة الدين، وتشييد شرف المسلمين، أحسنتم العمل إن حسُنَتْ معه النيَّة، كمل الخير إن أرجعتم كل أحوالكم إلى الكتاب والسُّنَّة، ولو من باب، وإلا فبئست الأحوال والأعمال والأقوال؛ بل أقول: إذا ساءت المذاهب، لا فرق بينكم وبين أولئك القوم، إلا بالعلامة والعِمامة! فكونوا من القوم أحباب الله، وأهل باب الله؛ لا من القوم أعداء الله، المبعودين عن الله.

## [حال السالكين]

أي سادة: إياكم والدجّاليَّة، إياكم والشيطانية، إياكم والطرق التي تقود إلى كلا الوصفين، أخجِلُوا الشيطان بخالص الإيمان[1]، خرِّبوا بِيَع[2] الدَّجَل بيد الصدق.

الطريق واضح: صلاة، وصوم، وحج، وزكاة، والتوحيد والشهادة برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام أول الأركان، واجتناب المحرَّمات حال المؤمن مع الله، وهذا هو الطريق.

ومن حال المؤمن مع الله أيضاً ذكر الله تعالى كثيراً.

ومن أدب الذكر: صدق العزيمة، وكمال الخضوع والانكسار، والانخلاع عن الأطوار، والوقوف على قدم العبودية بالتمكّن الخالص، والتدرع بدرع الجلال، حتى إذا رأى الذاكرَ رجلٌ كافر، أيقن أنه يذكر الله بصدق التجرد عن غيره؛ وكل من رآه هابه، وسقط من بوارق هيبته على قلب الرائي، ما يجعل هشيم خواطره الفاسدة هباء منثوراً.

---

(١) خالص الإيمان والنجاة من الدجالية والشيطانية: يكون بالتمسك الخالص بالكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، قال ﷺ: «تركتُ فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلُّوا أبداً: كتاب الله وسنه رسوله [ﷺ]».

(٢) بِيَع: جمع بيعة: وهي مكان العبادة عند اليهود. ثم أطلقت كإصطلاحٍ على كلِّ مكان يلتزمه الإنسان بعيداً عن تعاليم المسجد.

وإِذا كان الأمر على غير هذا المنوال، فأحسنه بالنسبة إِلى العامة: التمكن، وضبط القول، وجمع الأدب الباطني والظاهري مهما أمكن، وكفّ الطرف عن النظر إِلى أحد.

اللهم اجعلنا ممن ركَّبْتَ على جوارحهم من المراقبة غلاظَ القيود، وأقمتَ على سرائرهم من المشاهدة دقائق الشهود، فهجم عليهم نشر الرقيب مع القيام والقعود، فنكسوا رؤوسهم من الخجل، وجباههم للسجود، وفرشوا لفرط ذُلِّهم على بابك نواعم الخدود، فأعطيتَهم برحمتك غاية المقصود، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّمَ.

## [صلاح القلوب وحفظ الأوقات وحسن السماع]

يا فقير: اقتد بالقرآن المجيد، اتبّع آثار السلف، إِيش أنا حتى أَدعوَ لك؟ ما مثلي إِلا كمثل ناموسة على الحائط لا قَدْر لها، حُشرتُ مع فرعون، وهامان، وقارون، وأخذني ما أخذهم، إِن كان خطر لي في سرِّي أني شيخ هذا الجمع، أو مُقدَّمهم، أَو مَنْ يحكم عليهم، أَو ثبت عندي أني فقير منهم! وكيف تدعوه نفسه إِلى ذلك من هو لا شيء، ولا يصلح لشيء، ولا يُعَدُّ بشيء؟.

أي سادة: لا تضيِّعوا أَوقاتكم بما ليس لكم به راحة، فما مضى منكم نَفَس إِلا وهو معدود عليكم، إِياكم وما تغترون به! واحفظوا أوقاتكم وقلوبكم؛ فإِن أُعز الأشياء: الوقت والقلب، فإِذا اهملتم الوقت، وأَعميتم القلب، فقد ذهبت منكم الفوائد، واعلموا أن الذنوب تُعمي القلوب وتسوّدها، وتسوؤها وتمرضها.

مكتوب في التوراة: «في كل قلب مؤمن نائحةٌ تنوح عليه؛ وفي كل قلب منافق مغنٍّ يغني، وفي قلب العارف موضع لا يسره أبداً، وفي قلب المنافق موضع لا يغمه أبداً».

أي سادة: أنتم تذكرون الله في هذا الرواق، وتتواجدون وتهتزون، فيقول

الفقهاء المحجوبون: رَقَصَ الفقراء! ويقول العارفون: رَقَصَ الفقراء! فمن كان منكم وَجْدُهُ كاذباً، وقصده فاسداً، وَذِكْرُهُ من اللسان، مع طمح الطرف إلى الأغيار، فهو رقَّاص كما قال الفقهاء، وصدق عليه ما قالوا.

ومن كان منكم وَجْدُهُ صادقاً، وقصده صالحاً، عملاً بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨]. وكان من الذين إذا سمعوا القول قصدوا المراد من القول، وهو الإجابة لداعي الله في الأزل، كما قال تعالى فيهم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فسمع من سمع بلا حدٍّ، ولا رسم، ولا صفة، فثبتت حلاوة السماع فيهم بتردد، فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام وكوَّنه، وأظهر ذريته إلى الدنيا، ظهر ذلك السر المصون المكنون فيهم، فإذا سمعوا نغمة طيبة، وقولاً حسناً، طارت هممهم إلى الأصل الذي سمعوه من ذلك النداء، وأولئك هم العارفون الله تعالى في الأزل، المتحابون فيه، المتزاورون لأجله، الذاكرون المُهيَّمون به عن غيره، فذلك الفقير يقال له: ذاكر؛ رقصت روحه، وصحت عزيمته، وكمل عقله، وابيضت صحيفته، وأخذ من السماع الحظ المكنون، ونشر السر المطوي فيه، لأن السماع موجودٌ سره في طبع كل ذي روح يسمع، وكل جنس يسمع بما يوافق طبعة، ويفهم من السماع ما تنتهي إليه همته؛ أما ترى الطفل إذا سمع الحدْوَ طرِبَ ونام، والجِمالَ إذا حداها الحادي، سارتْ ونسيتْ أَلَمَ الثقل.

جاء في الآثار: أن الله ما خلق في خلق السموات والأرض ألذَّ من صوت إسرافيل عليه السلام، فإذا قرأ في السماء، قطع أهل السموات السبع ذكرهم وتسبيحهم.

لما أهبط الله آدم إلى الأرض، بكىٰ ثلثمائة عام، فأوحى الله تعالى إليه: يا آدمُ! فيم بكاؤك، وما جزعك؟ فقال: يا رب! لستُ أبكي شوقاً إلى جنتك،

ولا خوفاً من نارك، وإنما بكائي شوقاً إلى الملائكة المتواجدين حول العرش، سبعين ألف صفٌ، جُرْدٌ مُرْدٌ يذكرون ويتواجدون، ويدورون حول العرش، ويد كل واحد منهم بيد صاحبه، وهم يقولون:

«جلَّ المَلِكُ مَلِكُنَا، لَوْلاَ مَلِكُنَا هَلَكْنَا، مَنْ مِثْلُنَا وَأَنْتَ إِلَهُنَا؟ وَمَنْ مِثْلُنا وَأَنْتَ حَبِيبُنَا وَمُسْتَغَاثُنَا». وذلك دأبهم إلى يوم القيامة.

فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم! ارفع رأسك وانظر إليهم! فرفع رأسه إلى السماء، فنظر إلى الملائكة وهم يذكرون حول العرش؛ جبرائيل رأسهم، وميكائيل قوَّالُهم، فلما رآهم سكن رَوْعُه وأنينه.

وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥] أي: يسمعون.

هذا أساس مقاصد العارفين في السماع والتواجد، وهذا العطاء ما هو بالرقص المُحَرَّم، كما يزعم بعض الجهلاء من ممقوتي الفقراء، هذا العطاء يحصل لرجلٍ يملك خاطرة، ولا يجول بقلبه وسواس؛ ولا يلتفت إلى عَرَضٍ من أعراض الأكوان، ولا يقصد إلاَّ الله جلَّتْ عظمته، ومن كان ملطَّخاً بأوساخ الوسواس، وأدناس الطبع، عليه أن يذكر الله، محافظاً على أدب القول والحركة مهما أمكن، وأن لا يخوض بَحْرَ الدعوى الكاذبة، ويدَّعي منزلة القوم ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] والله غيور،[(١)] وبهذا القَدْرِ كفاية.

## [الشرع أحق أن يتبع]

أي سادة: كونوا مع الشرع، في آدابكم كلها، ظاهراً وباطناً، فإن من

---

(١) قال رسول الله ﷺ «إنَّ الله ليغار وإن المؤمن يغار، وغيرة الله تعالى أن يأتي العبدُ المؤمنُ ماحرَّم الله تعالى عليه» [البخاري ٩/ ٢٨١ في النكاح].

كان مع الشرع ظاهراً وباطناً، كان الله حظه ونصيبه، ومن كان الله حظه ونصيبه، كان من أهل مقعد صدق عند مليك مقتدر.

أي سادة: منكم الفقهاء، والعلماء أيضاً، ولكم مجال وعظ ودروس تقرؤونها، وأحكام شرعية تذكرونها، وتعلمونها الناس، إياكم أن تكونوا كالمنخل، يُخرج الدقيق الطيب، ويُمسك لنفسه النخالة، وأنتم كذلك تُخرجون الحكمة من أفواهكم، ويبقى الغل في قلوبكم، تطالَبون حينئذٍ بقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤].

إذا أحب الله عبداً، جعل في قلبه الرأفة والشفقة لسائر المخلوقات، وعوَّدَ كفه السخاء، وقلبه الرأفة، ونفسه السماحة، وبصَّره بعيوب نفسه، حتى يستصغرها ولا يراها شيئاً.

العارف حزين إذا فرح الناس، كئيب من غير يأس، فرحه قليل، وبكاؤه طويل، مطلوبه محبوبه، وهمُّه عيوبه وذنوبه.

النَّاسُ فِي الْعِيدِ قَدْ سُرُّوا وَقَدْ فَرِحُوا     وَمَا سُرِرْتُ بِهِ وَالْوَاحِدِ الصَّمَدِ
لَمَّا تَيَقَّنْتُ أَنِّي لاَ أُعَايِنُكُمْ     أَغْمَضْتُ عَيْنَيَّ وَلَمْ أَنْظُرْ إِلَىٰ أَحَدِ

بذلت نفسي، ولم أترك طريقاً إلا سلكته، وعرفت صحته بصدق النيّة والمجاهدة، فلم أجد أقرب وأوضح وأحب: من العمل بالسُنَّة المحمدية، والتخلق بخلق أهل الذُّل والانكسار، والحيرة والافتقار.

كان الصِّدِّيق الأكبر السيد أبو بكر رضي الله عنه[1] يقول: الحمد لله الذي لم يجعل الوصول إليه إلا بالعجز. والعجزُ عن دركِ الإدراك: إدراك.

---

(١) هو الخليفة الراشد الأول: عبد الله بن أبي قحافة: من أهل مكة. أول من آمن بالإسلام من الرجال، وسمي صدِّيقاً لتصديقه بكل ما جاء به رسول الله ﷺ، شهد المشاهد كلها، بايعه المسلمون خليفة سنة ١١ هـ. حارب المرتدِّين، وتوفي سنة ١٣ هـ.

روي أَن الله تعالى قال لموسىٰ عليه السلام: «يا موسى: ائتني بما ليس في خزائني. قال: يا ربِّ! أنت ربُّ العالمين، وأي شيء نقصتْ خزائنك؟! فقال: يا موسى! اعلم أن خزائني مملوءة: كبرياء، وعزاً وجلالاً، وجبروتاً؛ ولكن ائتني: بالذُّلّ، والانكسار، والمسكنة؛ فأنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي، يا موسى! ما تقَّرب المتقربون إِليَّ بأَعظم من ذلك».

أي سادة: من الخشية تكون المحاسبة، ومن المحاسبة تكون المراقبة، ومن المراقبة يكونِ دوامِ الشغل بالله؛ فإِنّ أغبط الناس في زماننا: مُؤْمِنٌ عَرَفَ زَمَانَهُ، وَحَفِظَ لِسَانَهُ، وَلَزِمَ شَانَهُ، وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ.

قلت لسيدي عبد الملك الخرنوتي[1] قدس الله سره: أوصني؟

قال لي: يا أَحمد، ملتفت لا يَصِل، ومشكِّك لا يفلح، ومن لم يعرف من نفسه النقصان، فكل أوقاته نقصان.

فبقيت سَنَةً أردد وصية الشيخ، وما يخطر لي خاطر إِلا أذكرها فيزول عني؛ ثم إِني زرته في السنة الأخرى، ولما أردت الخروج من عنده قلت له: أي سيدي: أوصني؟!.

فقال لي: يا أحمد، ما أقبح العِلَّة بالأطباء، والجهل بالألباء[2]، والجفاء بالأحباء. فخرجت من عنده وصرت أرددها سنة على نفسي، وانتفعت به وبوصيته.

العالم العارف عظيم السياسة لنفسه بالمخافة من الله، والمراقبة له، وإِذا أراد أن يتكلم بكلام، اعتبره قبل أن يخرجه من فيه، فإِن رأى فيه صلاحاً أخرجه، وإلا ضمَّ فمه عليه؛ لما جاءت به الروايات: لسانك

---

(١) أحد شيوخ السيد الرفاعي. لم أجد له ترجمة.

(٢) الألِبّاء: هم أصحاب القلوب السليمة والعقود الواعية.

أسدك، إن حرسته حرسك، وإن أطلقته رفسك.

العارف: كلامه ينقي الصدا، وصمته يصرف الردى، يأمر بالمعروف لأهله، وينهى عن المنكر وفعله.

قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

من عرف الله، زاد أدبه معه، من تقرب إلى الله، عَظُم خوفه من الله.

## [القصاص والعبودية]

أخبرني القاضي المقري، الإمام الصالح، سيدي علي أبو الفضل الواسطي(١)، بسنده(٢) إلى الخطيب البغدادي، يسلسله إلى أبي الجارود العبسي: أن جابر بن عبد الله(٣) رضي الله عنه وعنهم أجمعين قال: بلغني حديث عن رجل من أصحاب النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم، سمعه من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم في القصاص، ولم أسمعه، فابتعتُ(٤) بعيراً فشددتُ رحلي عليه ثم سرت شهراً حتى قدمت مصر، فأتيتُ عبدَ الله بن أُنيس،(٥) فقلت للبواب: قل له: جابرٌ على الباب، فقال: ابنُ عبد الله؟ قلتُ: نعم، فأتاه فأخبره، فقام يطأ ثوبه حتى خرج إليَّ فاعتنقني واعتنقته فقلتُ له: حديث بلغني عنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم أسمَعْه، في القصاص، فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه.

---

(١) انظر ترجمته في المقدمة: «شيوخ المؤلف».

(٢) هو أحمد بن علي، أبو بكر الخطيب البغدادي، توفي سنة ٤٦٣ هـ.

(٣) الصحابي الجليل، أسلم قبل الهجرة، من المجاهدين، غزا تسعة عشرة غزوة مع الرسول ﷺ، كان من الرواة المُكثرين، توفي بالمدينة سنة ٧٤ هـ.

(٤) ابتعْتُ: اشتريتُ.

(٥) هو أبو يحيى المدني، صحابي، توفي بالشام سنة ٥٤ هـ.

فقال عبد الله: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم يقول: «يَحْشُرُ اللهُ الْعِبَادَ، أو قال: النَّاسَ عُرَاةً غُرْلاً بُهْماً قال: قلنا: ما بُهْماً؟ قال: لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ، لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَعِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ حَتَّىٰ أَقصَّهُ مِنْهُ، حتَىٰ اللَّطْمَة؛ قال: قلنا: كَيْفَ ذَا وَإِنَّما نَأْتِي الله غُرْلاً بُهْماً؟ قال: بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ. قال: وتلا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧]». (١)

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتي مِنْ بَعْدِي: عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ، أَلاَ فَلْيَرْتَقِبْ أُمَّتِي الْعَذَابُ، إِذَا كَافَأَ الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ». (٢)

هذا الحديث أظهر ما لله من العدل، فإثبات القصاص، فيمن ليس بمكلف، كالبهائم وغيرها، وأطلق القول عليه عزَّ وجلَّ بالقيام على العرش يوم القيامة، من غير تكييف ولا تمثيل، وأثبت الوعيد في اللواط والسحاق.

العلم لا يُكتم، والحق يقال، والشارع، روحي الفداء لقبره المبارك، أوضح لنا: ما لنا وما علينا تماماً، فالناجي من آمن به واتبع أمره، والحذر والهلاك لمن خالفه. بلَّغ كما أُمِر، وما بقي لنا عليه حجة، وهو ﷺ صاحب الحجة القائمة على كل مكلَّف، وبه قامت حجة الله على خلقه.

هكذا قضى سبحانه وتعالى وقال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥] ﴿وَكَفَىٰ بالله وَلِيّاً وَكَفَىٰ بِالله نَصِيراً﴾ [النساء: ٤٥].

أي سادة: من أحبَّ الله علَّم نفسه التواضع، وقطع عنها علائق الدينا،

---

(١) الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٣٣).

(٢) انظر الترمذي (٢٥٦٣).

وآثر الله تعالى على جميع أحواله، واشتغل بذكره، ولم يترك لنفسه رغبة فيما سوى الله تعالى، وقام بعبادته بحقائق الأسرار، وخلع المنابر والأسِرَّة تواضعاً لله، وإن كانت يده طائلة إلى مثل ذلك، وكان كمن قيل فيه:

تَـرَكَ الْمَنَـابِـرَ وَالسَّـرِيـرَ تَـوَاضُعـاً ... وَلَـهُ مَنَـا بِـرُ لَـوْ يَشَـا وَسَـرِيـرُ

وَلِغَيْـرِهِ يُجْبَـىٰ الْخَـرَاجُ وَإِنَّمَـا ... يُجْبَـىٰ إِلَيْـهِ مَحَـامِـدٌ وَأُجُـورُ

أي سادة: العبدية: حقها الانقطاع عن غير السيد بالكلية.

العبدية: ترك كل كلية وجزئية.

العبدية: رد القصد عن طلب كل مزية.

العبدية: عدم رؤية العبد لنفسه على إخوانه رفعة أو فرقية.

العبدية: الوقوف عند ما حد للطينة الآدمية.

العبدية: الخشية والخضوع تحت مجاري الأقدار الربانية.

لا يكون العبد عبداً كاملاً، حتى يصل إلى مرتبة الحرية والتخلص من رِقِّ الأغيار بالكلية.

أي سادة: لا تتخذوني دفة المُكْدِية، لا تجعلوا رواقي حَرَماً، وقبري بعد موتي صَنَماً، دعوتُ الله أن يجعلني مُنفرداً إليه في الدنيا، فحصل مع الجمعية، وعساني أصل إلى هذا المقصدُ إذا فارقتُ هذه الدنيا الدنية.

إن صحت الجمعية مع الله فالكُلُّ هَيِّنٌ.

إِذَا صَحَّ مِنْهُ الْوَصْلُ فَالْكُلُّ هَيِّنٌ ... وَكُـلُّ الَّـذِي فَـوْقَ الـتُّـرَابِ تُـرَابُ

عليكم به سبحانه، وحقه لا يضر وينفع، ويصل ويقطع، ويفرق ويجمع، ويعطي ويمنع، إلا هو.

الوسائل إليه لا تنكر، والوسائط لا تُكْفر، وإنما المادة الكبرى كلمة تقولها وتصل، وهي: آمنتُ بالله؛ فإذا آمنتَ به آمنتَ بكتابه وبرسوله،

وبكل ما جاء به رسول ﷺ، وعلمتَ بقوله تعالى:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وعظَّمتَ الوسائل والوسائط التي تدُلُّك على الله، ووحَّدْتَ الله، ووقفتَ على الباب بسائح الدموع، ولثمت الأرض بالذلِّ والخضوع، وعرفت إلى أين المصير والرجوع، وتهيأتَ لما يليق بمقام الملاقاة، وأخلصتَ في أعمالك كلها، فصرتَ إخلاصاً خالصاً.

وبعدها تليق لك المراتب، وتسبح عليك سُحُبُ المواهب، وتعود عليك عوائد الكرم، وتُمَدُّ لك موائد النعم، وتنشر شبكة عرفانك على الخلق، حتى لا تُبْقِي ولا تذر، وتصل دعوة نيابتك إلى الظهور والبطون بإذن الله.

## [طريق الفقهاء والعلماء والأولياء التمسك بالشرع]

أي سادة: عظموا شأن الفقهاء والعلماء، كتعظيم شأن الأولياء والعرفاء، فإن الطريق واحد، وهؤلاء وُرَّاث ظاهر الشريعة، وحملة أحكامها الذين يُعلِّمونها الناس، وبها يصل الواصلون إلى الله، إذ لا فائدة بالسعي والعمل على الطريق المغاير للشرع، ولو عَبَدَ الله العابدُ خمسمائة عام، بطريقة غير شرعية، فعبادته راجعة إليه، ووزره عليه، ولا يقيم له الله يوم القيامة وزناً! وركعتان من فقيه في دينه، أفضل عند الله من ألفي ركعة من فقير جاهل في دينه؛ فإياكم وإهمال حقوق العلماء، وعليكم بحسن الظن فيهم جميعاً، وأما أهل التقوى منهم، العاملون بما علَّمهم الله، فهُمُ الأولياء على الحقيقة، فلتكن حرمتهم عندكم محفوظة.

قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ عَمِلَ بما يعلَم ورَّثَهُ الله عِلْم ما لَمْ يعلم»[١]، وقال ﷺ: «العلماءُ ورثةُ الأنبياءِ»[٢] الحديث.

---

(١) أبو نعيم في «حلية الأولياء».

(٢) ابن حبان في «صحيحه».

هم سادات الناس، وأشراف الخلق، والدالُّون على طريق الحق، لا تقولوا كما يقول بعض المتصوفة: نحن أهل الباطن، وهم أهل الظاهر.

هذا الدين الجامع: باطنه لبُّ ظاهره، وظاهره ظرف باطنه، لولا الظاهر لما بطن، لولا الظاهر لما كان الباطن ولما صح؛ القلب لا يقوم بلا جسد؛ بل لولا الجسد لفسد، والقلب نور الجسد.

هذا العلم الذي سماه بعضهم بعلم الباطن، هو إصلاح القلب، فالأول عمل بالأركان، وتصديق بالجنان.

إذاانفرد قلبك بحسن نيته، وطهارة طويته، وقتلتَ وسرقتَ وزنيتَ، وأكلتَ الربا؛ وشربتَ الخمر، وكذبتَ، وتكبّرْت، وأغلظتَ القول، فما الفائدة من نيَّتك وطهارة قلبك؟.

وإذا عبدتَ الله وتعففتَ، وصُمتَ وصَدَقْتَ، وتواضعت، وأبطن قَلبُك: الرياء والفساد؟! فما الفائدة من عملك؟

فإذا تعين لك أن الباطن لبُّ الظاهر، والظاهر ظرف الباطن، ولا فرق بينهما، ولا غنى لكليهما عن الآخر، فقل: نحن من أهل الظاهر، وكأنك قلت: من أهل الباطن، قل: نحن من أهل ظاهر الشرع، وقد ذكرت باطن الحقيقة. أيُّ حالة باطنة للقوم لم يأمر ظاهر الشرع بعملها؟.

أي حالة ظاهرة لم يأمر ظاهر الشرع بإصلاح الباطن لها؟ لا تعملوا بالفرق والتفريق بين الظاهر والباطن، فإن ذلك زيغ وبدعة(١)، لا تهملوا

---

(١) لفضيلة الشيخ عبد الغني نكَه مي تعليق رشيد جدير بالنقل، يقول: سُئل أحدهم عن فرائض الوضوء - وهو شيخ طريقة وله إخوانه فقال للسائل: نحن أهل الباطن، وإن كنت تريد أن تعلم جواباً لسؤالك، فعليك بسؤال أهل الظاهر - ويعني بهم السادة العلماء.

سبحان الله! ماذا لو تعلّم هذا الإنسان شيئاً من الفقه، ليصحح به عباداته أولاً =

حقوق العلماء والفقهاء، فإن ذلك جهل وحُمْقٌ، لا تأخذوا بحلاوة العلم، وتبطلوا مرارة العمل! فإن تلك الحلاوة، لا تنفع بغير تلك المرارة، وإنْ تلك المرارة تنتج الحلاوة الأبدية. ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]. نصٌّ قرآني، يشهد لكم بالمكافأة على الأعمال.

والإخلاص: أن يكون العمل لله، لا لدنيا ولا لآخرة، مع حسن الظن به سبحانه وتعالى، في كل حال من الأحوال، وعمل من الأعمال، وقول من الأقوال، إيماناً به، وامتثالاً لأمره، وطلباً لمرضاته.

## [علماء الشريعة هم ورثة الأنبياء]

أي سادة: تقولون: قال الحارث(١)، قال أبو يزيد(٢)، قال الحلاج(٣): ما هذا الحال قبل هذه الكلمات؟. قولوا: قال الشافعي؛ قال مالك، قال أحمد، قال النعمان.

---

= ثم يعلم أتباعه الأشياء المعروفة من الدين بالضرورة؟!. ولكنْ قاتَلَ اللهُ الجهلَ، لو لم يكن فيه إلاَّ اسمه لكفى، وينطبق على هذا الزاهد في العلم وأهله: قول إمامنا الشافعي رضي الله عنه:

وَكُلُّ رِيَاسَةٍ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ ... أَذَلّ مِنَ الْجُلُوسِ عَلَىٰ الْكُنَاسَةِ!

نعوذ بك اللهم من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومَن دعاه لا يُسمع. اللهم ارزقنا متابعة حبيبك المحبوب ﷺ، في أقوالنا وأعمالنا وأحوالنا.. آمين.

(١) هو الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله، من علماء الصوفية بالظاهر والمعاملات والاشارات، أستاذ أكثر البغداديين، له مؤلفات، توفي ببغداد سنة ٢٤٣ هـ.

(٢) هو طيفور بن عيسى بن سروشان، من الزهاد والعباد وأرباب الأحوال، توفي سنة ٢٦١ هـ، له أقوال وحكم ومواعظ معروفة مشهورة.

(٣) هو الحسين بن منصور، أبو مغيث قُتل في بغداد لاتهامه بالزندقة سنة ٣٠٩ هـ سبقت ترجمته.

صححوا المعاملات البينية، وبعدها تفكّهوا بالمقولات الزائدة؛ قال الحارث وأبو يزيد، لا ينقص ولا يزيد، وقال الشافعي ومالك، أنجح الطرق وأقرب المسالك.

شيِّدوا دعائم الشريعة بالعلم والعمل، وبعدها ارفعوا الهمة للغوامض من أحكام العلم وحكم العمل، مجلسُ علم أفضل من عبادة سبعين سنة ، أي: من العبادات الزائدة عن المفروضات، التي يتعبد الرجل بها بغير علم: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ؟﴾ [الزمر: ٩]. ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ؟﴾ [الرعد: ١٦].

أشياخ الطريقة وفرسان ميادين الحقيقة، يقولون لكم: خذوا بأذيال العلماء، لا أقول لكم: تفلسفوا، ولكن أقول لكم: تفقّهوا: «مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ»[1] .

ما اتخذ الله ولياً جاهلاً، ولو اتخذه لعَلَّمه؛ الوليُّ لا يكون جاهلاً في فقه دينه، يعرف كيف يصلي، كيف يصوم، كيف يُزكّي، كيف يحج، كيف يذكُرهُ، يُتْقِنُ علم المعاملة مع الله، فمثل هذا الرجل وإن كان أمياً فهو عالم، ولا يقول له: جاهل، إلا من جهل العلم المقصود.

ليس العلم علم البديع والبيان، والأدب الذي عناه الشعراء، والجدل والمناظرة.

العلم المختصر: علم ما أمرَ الله به ونهى عنه، والعلم الجامع الأتم: علم التفسير والحديث والفقه. والفنون اللفظية، والقواعد النظرية، التي وضِعَتْ وسماها واضعوها: علوماً، هي فنون تدخل تحت قول القائل: العلم بالشيء ولا الجهل به.

---

(١) البخاري في العلم ـ ١/ ١٥٠، ١٥١) و(٦/ ١٥٢)، ومسلم في الزكاة (١٠٣٧).

صُمُّوا أسماعكم عن علم الوحدة[1]، وعلم الفلسفة وما شاكلهما، فإن هذه العلوم مزالق الأقدام إلى النار؛ حمانا الله وإياكم.

الظاهر، الظاهر، اللهم إيماناً كإيمان العجائز: ﴿قُلِ اللهُ[2] ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

لا تقطعوا الوصلة مع العلماء، جالِسوهم، خُذوا عنهم، لا تقولوا: فلان غير عامل! خذوا من علمه واعملوا به؛ ودعوه وعمله إلى الله، الأولياء رضي الله عنهم، يأخذون الحكمة، لا يُبالون من أي لسان ظهرتْ، وعلى أي حَجَرٍ كُتبتْ، وبواسطة أي إنسان وصلت: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ

---

(١) أي: «وحدة الوجود» وهو ما سبق شرحه.

(٢) ظنَّ البعض مُستشهدين بهذه الآية الكريمة أن الذكر بالاسم المفرد «الله» أفضل من الذكر بالجملة المركبة كقوله: «سبحان الله» و«الحمد لله» «ولا إله إلا الله»«والله أكبر» وهذا الظن غير صحيح، وغير مشروع أصلاً، ولا يدل على مدح ولا تعظيم، ولا يتعلَّق به إيمان، فلو قال الكافر «الله، الله، من أول عمره إلى آخره، لمَ يصر بذلك مسلماً، فضلاً عن أن يكون من الأذكار، وقد اطَّلعتُ على جميع ما ورد من أذكار النبي ﷺ، وقد حققتُ من ذلك ثلاثة كتب فلم أجد تكرار كلمته «الله» مفردةً عن الذكر، ولم يفعله النبي ﷺ، ولم يُرْوَ ذلك عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم. و قد بالغ البعض فقالوا: الذكر بالاسم المضمر «هو» أفضل، وكلُّ هذا لا أصل له في السنة النبوية الشريفة. والآية الكريمة: ﴿قُلِ الله..﴾ لا تعني قُلْ: الله، الله. لأن اسم «الله» هنا جواب لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتابَ الذي جاء به موسى نوراً وهدىً للنّاس، تجعلونَهُ قراطيسَ تُبدونها وتُخفونَ كثيراً﴾ [الأنعام: ٩١] إلى أن قال: ﴿.. قُل الله﴾ أي قل: الله أنزله. فإن السؤال مُعاد في الجواب فيتضَّمنه، فيُحْذف اختصاراً كما يقول: مَنْ خلق السماوات والأرض؟ فيُقال: الله ـ أي: الله خلقها.

وفي الذكر والأذكار الواردة عن النبي ﷺ ما يُغنينا عمّا ارتآه العلماء بعد ذلك بمئات السنوات، وخاصة أنَّ الذكر والأذكار نُقلت إلينا بأمانة وأصبحت متوفرة بكثرة لوجود المطابع والورق، وما جاء عنه ﷺ أحق أن يُحفظ ويتبع ويُروى ويُعمل به. والله أعلم.

السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلاً﴾ [آل عمران: ١٩١].

الأولياء قناطر الخلق، يَعْبُرُ الموفقون عليهم إلى الله تعالى، أولئك هم العاملون، المخلصون الخالصون، استخلصهم تعالى لعبادته، وقربَّهم من حضرته، فما حجب قلوبهم حجاب الغين[1] طرفة عين، أَخرَجوا البين من البين[2]، أقاموا طلاسم الكتم على الأسرار، وقاموا الليل، وصاموا النهار، بعضهم غلب عليه الفكر؛ وبعضهم غلب عليه الذِّكر، وبعضهم جمع شتات الأمر: ﴿رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾ [النور: ٣٧].

أوصيكم كل الوصية ـ بعد علم واجبات الدِّين ـ بصحبتهم، فإنها ترياق مجرَّب، عندهم رأس الأمر كله، عندهم الصدق والصفاء، والذوق والوفاء، والتجرد من الدنيا، والتجرد من الأُخرى، والتجرد إلى المولى.

هذه الخصال لا تحصل بالقراءة والدرس والمجالس، لا تحصل إلا بصحبة الشيخ العارف، الذي يجمع بين الحال والمقال، يدل بمقاله، وينهض بحاله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ﴾ [الزمر: ١٨]، ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

حالة الشيخ ـ كمالاً كانت أو نقصاناً ـ تظهر في أتباعه ومريديه، بطناً بعد بطن[3]، فإن كانت حالة كمال، علا بها حال الكامل، وزاد بها حال الناقص، وإن كانت حال نقص، نقص بها حال الكامل، وذهب بها حال الناقص، إلا إن وهب الكريم، فلا تأثير للأحوال.

إياكم وإبقاء أثرٍ ينقص حال كُمَّل أتباعكم، ويذهب حال ناقصهم،

---

(١) الغين: بكسر الغين = تغشَّى، ويقال: غِين على قلبه غَيناً = تغشَّتْهُ الشهوةُ، أو أحاط به الرَّين، قال تعالى: ﴿بَلْ رانَ على قلوبهم ما كانوا يَكْسِبُونَ﴾.

(٢) أي: أخرجوا الجيِّدَ من الرويء.

(٣) أي جيلاً بعد جيل.

الرجل من تظهر آثاره بعده، قال الرجال:

إِنَّ آثَارَنَا تَدُلُّ عَلَيْنَا        فَانْظُروا بَعْدَنَا إِلَىٰ الآثَارِ

أتركوا بعدكم أثر الذل والانكسار، والتجرد من الدعوى، والخروج من حيطة الاستعلاء، والتذلل بباب المولى، ومحبة الفقراء والعلماء، وموافقة الأقدار بالتسليم إلى الله، والتمسك بسنة رسوله ﷺ، وإياكم والغرة[1] بالوقت، فما هو عند العارف بشيء، إلا إذا لم يصرفه في غير الطاعة، ويأخذ منه ما يثلج صدره، أجل: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[2].

ما بقي من قوم سليمان عليه السلام أَحَدٌ، ذهب ملكه، ونُسِخَتْ شريعته؛ ونبينا عليه أفضل الصلاة والسلام لا يذهب شأنه، ولا تُنسخ شريعته بإذن الله: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩، والرعد: ٣١].

وصْفُ سليمان نازعه وصف المَلِكِ الديَّان، فطمسه: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، ووصْفُ النبيِّ ﷺ لما كان العَبْدية، أعانه وصف الربوبية، فدامَ ذِكره، وعلا أمره ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقد ترون أن الملوك وذراريهم وحواشيهم تذهب، ورسومهم تنقلب، والرعية على حالها! هؤلاء نازعتهم صفة الربوبية لما رأوا المالكية، فزالوا، وهؤلاء صانتهم صفة الربوبية، لما تحقَّقوا بمنزلة المملوكية فداموا.

---

(١) يُقال: الصوفي ابن وقته، أي: أنه مُشتغل بما هو أولى به في الحال، قائم بما هو مُطالب به في الحين.

(٢) قطعة من حديث طويل، رواه مسلم في الزكاة (١٠١٧).

قال سيدي الشيخ منصور: صحيفة حال الشيخ أتباعه، لهم من حاله وخلقه شمة[1] لا بد أن تفعل كيف كانت، إلا إذا غلبها حال سماوي اختص به التابع، فربما يعلو منزلة شيخه: ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ﴾ [النساء: ٧٠]، ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٧٣، والمائدة: ٥٤].

ترى في أصحاب الحلاَّج حبَّ القول بالوحدة.[وحدة الوجود][2]

ترى في أصحاب أبي يزيد ـ رحمه الله ـ حبَّ الإِغماض، والتكلم بالرقائق[3].

ترى في أصحاب الجنيد ـ رضي الله عنه ـ حبَّ الجمع بين لسان الطريقة والشريعة[4].

ترى في أصحاب النصراباذي حبَّ المعالي، لما كان عليه من المنزلة[5].

---

(١) شمة = صفة، وسِمة.

(٢) وحدة الوجود = سبق شرحه.

(٣) سَبَقَتْ ترجمته، سُئل بأي شيء بلغتَ هذه المعرفة؟ فقال: ببطن جائع وبدن عار. وقال: عملتُ في المجاهدة ثلاثين سنة، فما وجدتُ شيئاً أشد عليَّ من العلم ومتابعته، وقال: أدنىٰ ما يجب على العارف، أن يهب له ما قد ملكه، وقال: لا يعرفُ نَفْسَهُ مَنْ صحبته شهوته.

(٤) من أقواله: الغفلة عن الله تعالى أشد من دخول النار. وقال: الطرق كلُّها مسدودة على الخلق، إلا مَن اقتفى أثر الرسول ﷺ، واتّبع سنته، ولزم طريقته، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه.

(٥) هو إبراهيم بن محمد بن محمويه، شيخ خراسان في وقته علماً وحالاً، خرج في آخر عمره حاجّاً إلى مكة سنة ٣٣٦هـ، وجاور هناك إلى أن توفي سنة ٣٦٧هـ. كان ثقة في الحديث، من أقواله: الراغب في العطاء لا مقدار له، والراغب في المُعطي عزيز، وقال: الأشياء أدلّة منه، ولا دليل عليه سواه.
سبقت ترجمته. وحب الوحدة إلى الله أي: الخلوة، وذِكر الله منفرداً.

ترى في أصحاب سيدي الشيخ أبي الفضل حب الوحدة إلى الله، بالذُّلِّ لله وللخلق.

وقد تنعكس هذه القاعدة في البعض، ولكن يكون ذلك بالاختصاص: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة ١٠٥، وآل عمران: ٧٤].

معروف الكرخي(١)، وداود الطائي(٢)، والحسن البصري، ومن تأدّب بصحبتهم من هذه الطائفة رضي الله عنهم، اختصروا أسباب السير على كلمتين. «التَمَسُّكُ بِالشَّرْعِ وَطَلَبُ الْحَقِّ وَحْدَهُ» هذه الشريعة أمامك.

## [كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء]

أي أخي: أُنظر كيف كان نبيك عليه أفضل الصلوات والتسليمات؟ وكيف قال؟ وكيف خالَقَ الناس بَرّاً وفاجراً؟ وأعمل بعمله، وقُلْ بقوله، وتخلَّقْ بخُلُقِ الرسول ﷺ، إِنْ كنتَ لا تعلم، فاسأل العلماء، قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، والأنبياء: ٧].

يتحدَّث القوم بالنعم، اعترافاً بنعمة المنعم، وشكراً لها، وحثّاً للناس على العمل، لتحصل لهم هذه البركة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

يقول المتحدث بالنعمة: أَطلعني ربيِّ على كذا، وعلَّمَني كذا، ووهبني

---

(١) هو معروف بن فيروز الكرخي، من كبار الصوفيين الزهاد، مُجاب الدعوة، توفي سنة ٢٠٠ هـ، وذلك أنه أسلم على يد علي بن موسى الرضا، فازدحم الناس على بابه يوماً، فكسروا أضلع معروف، فتوفي، ودفن في بغداد. من أقواله: توكّل على الله، حتى يكون مُعلِّمك، ومؤنسك، وموضع شكواك، فإن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك وقال: علامَةُ مقتِ الله العبد أن تراه مُشتغلاً بمالا يعنيه من أمرِ نفسهِ.

(٢) هو داود بن نصير، أبو سليمان الطائي، العالم الرباني، أحد الاعلام، الزاهد، شغل نفسه بالعلم، والفقه، كان يختلف إلى أبي حنيفة، توفي سنة ١٦٥ هـ.

من الخير والبركة كذا. ولكن لا يقول: أنا خير منكم، أنا أجلُّ منكم، أنا أشرف منكم.

هذه كلمات دعوى، تكون من رعونة النفس، ينطق بها لسان الأحمق، ما الذي خيَّرني عليك، وأجلَّني وشرَّفني؟ صلاة وصوم، وغيرها من العبادات؟! ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، لولا امتثال قوله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٣]، لخاط العاقل فَمَهُ بِمَخيط.

أي أخي: تفتخر بأبيك آدم ـ عليه السلام ـ الصفوة الأولى، كَفَرَ أكثر أولاده! وكذلك أكثر[أولاد][1] الأنبياء والمرسلين.

تفتخر بعلمك؟! إبليس حلَّ كلَّ عويص، حلَّ وقرأ صحِاف الموجودات!.

تفتخر بمالِكَ! قارونُ هلَكَ بماله.

تفتخر بِمِلْكِك! لم يُغْنِ ملك فرعون عنه من الله شيئاً!.

ما هلك إبراهيمُ عليه السلام بعد أن تجرَّد إلى ربِّه[2].

ما ذلَّ موسى عليه السلام بعد أن فرش بساط ذُلِّه بين يَدَيْ خالقه.

ما ضاع شأن يونس عليه السلام بعد أن قال بصدق الالتجاء: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

---

(١) قال الله تعالى: ﴿فَخَرجَ على قومِهِ في زينتِهِ، قالَ الذينَ يُريدونَ الحياةَ الدُّنيا ياليت لنَا مثلَ ما أُوتيَ قارونُ إنَّهُ لذو حَظٍّ عظيمٍ * وقال الذين أُوتوا العلمَ وَيْلَكُمْ ثوابُ الله خيرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعمِلَ صالحاً ولا يُلَقَّاها إلاَّ الصابرون * فَخَسَفْنَا بهِ وبداره الأرضَ فما كان له من فئةٍ ينصرونه مِنْ دونِ الله وما كان من المنتصرين﴾ [القصص: ٧٩_٨١].

(٢) وذلك حين أراد النمرود أن يحرقه ﴿قُلنا: يا نارُ كوني بَرْداً وسَلَاماً على إبراهيم﴾[الأنبياء: ٦٩].

ما خاب يوسف عليه السلام بعد أن استسلم لقضائه معتمداً عليه.

هكذا النبيون، هكذا المرسلون، هكذا الصدِّيقون، هكذا الصالحون: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾ [يونس: ٦٤].

## [أخلاق السالكين]

أي أخي: أين أنت؟! في أيّ واد تهيم؟ في وادي وهْمِكَ، تسرح في ميادين قطيعتك، الله، الله بك أحرص عليك، والله إن تنقطع أخاف عليك أن تُخذل، اللهم إني أعوذ بك من القطع بعد الوصل.

يا أخي: لا تحرد مني إذا انقطعتَ وأنتَ تظنُّ الوصلَ، ورأيتَ أنك عالم، وأنتَ على طائفة من الجهل، فقد فاتك السَّوْمُ، وسبقك القوم، وعمَّك اللَّوْم.

لا أقول لكم: انقطعوا عن الأسباب، عن التجارة، عن الصنعة؛ ولكن أقول: انقطعوا عن الغفلة والحرام في كل ذلك.

لا أقول لكم: اهملوا الأهل ولاتلبسوا الثوب الحسن، ولكن أقول: إيَّاكم والاشتغال بالأهل عن الله، وإياكم والزهو بالثوب على الفقراء من خلق الله! وأقول: لا تُظهروا الزينة فوق ما يلزم بثيابكم، تنكسرُ قلوبُ الفقراء، وأخافُ أن يُخالطكم العُجبُ والغفلة، وأقول: نقُّوا ثيابكم: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وأقول: نقُّوا قلوبكم وطهروها، فذلك أولى من تنقية الثياب، إن الله لا ينظر إلى ثيابكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم، وكذلك، أو مثل ذلك، قال لنا سيدنا عليه أفضل الصلوات والتسليمات.

حاربوا الشيطان ببعضكم (١)، بنصيحة بعضكم، بخُلُق بعضكم، بحال

---

(١) أي: بالتعاون فيما بيننا بالنَّصيحة والأخلاق والأمر بالمعروف والنهي عن=

بعضكم، بقال بعضكم، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، يقاتلون الشيطان، والنفس، وعدوّ الله.

يقاتلون الشَّيطان: كي لا يقطعهم عن الله.

يقاتلون النَّفس: كي لا تشغلهم بشهواتها الدنيّة عن عبادة الله.

يقاتلون عدوّ الله، لإعلاء كلمة الله، ونشر عَلَم الدلالة على الله: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الله، أَلَا إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

عظّموا شأن العلم تعظيماً يقوم بواجباته؛ لأنه أدرك حقائق الأشياء، مسموعاً ومعقولاً؛.

أعطوا الإيمانَ حقَّه: فهو إقرار باللسان، واعتقاد بالجَنَان. إلزموا حُكْمَ الإِسلام: فهو متابعة الشريعة، والإعراض عن الطبيعة.

تحققوا بالمعرفة: فهي أن تعرفوا الله بالوحدانية.

طهِّروا النية: فهي الخطرة في القلب، فلا يطَّلع عليها أحد غيرُ الله.

اتقنوا الأدب: فهو وضع الشيء موضعه.

أوْجِزوا الموعظة: فهي إرشاد أصحاب الغفلات.

أبلِغوا بالنصيحة: فهي الاطلاع على حفظ طريق الزهد.

أصدقوا في المحبة: فهي نسيان ما سوى المحبوب.

أكمِلوا الأدب في الدعاء: فهو رفع الحاجات إلى رفيع الدرجات.

شيِّدوا منار التصوف: فهو ترك الاختبار.

---

= المنكر.

أتقنوا طريق العبودية: فهي ترك الدنيا، وترك الدعوى، واحتمال البلوى، وحب المولى.

مهِّدوا سبيل القرب: فهو الانقطاع عن كل شيء سوى الله.

تحققوا بالصدق: فهو موافقة السر والعلانية.

عظِّموا قَدْرَ نعمة العافية، فهي: نفسٌ بلا بلاء، ورِزقٌ بلا عناء، وعملٌ بلا رياء.

قِفوا عند حدِّ الاستقامة: فهي ألاَّ يختار على الله شيء.

تَحرُّوا الحلال: فهو الذي لا يضمنه آكله في الدنيا، ولا يؤاخذ لأجله في الآخرة.

سدِّدوا منهاج الطاعة: فهي طلب رضاء الله في الأقوال، والأفعال، والأحوال.

خُذوا بعُروة الصبر: فهو إيقاف القلب عند حكم الرَّبِّ.

طهِّروا العزلة والخلوة، فهما التباعد عن أبناء الدنيا بترك الطمع، وهجر اختلاط الناس قلباً. وإن كان المرء بينهم بشخصه.

ألا إنَّ الولي من ولَّى وجهه عن النفس، والشيطان، والدنيا، والهوى، وولَّى وجهه وقلبه إلى المولىٰ، وأعرض عن الآخرة والأولى، ولم يطلب إلاَّ الله تعالى؛ وإن القانع من رضيَ بالقسمة واكتفى بالبُلغة.

وأحذِّركم أوصافاً وخصالاً إياكم إياكم والاتصاف بشيءٍ منها فإنها السُّم الناقع:

أوصيكم «بتقوى الله»، والتباعد عن الخصال المذكورة، وهي:

«الحسد» وهو: إرادة زوال نعم المحسود.

«والكِبر» وهو: أن يرى المرء نفسه خيراً من غيره.

«والكذب» وهو: اختراع كلام على خلاف الواقع، وقولٌ قبيح عار عن صفة المنفعة.

«والغيبة» وهي: بيان خبث البشرية.

«والحرص» وهو: عدم الشِّبَع من الدنيا.

«والغضب» وهو: غليان الدم لإرادة الانتقام.

«والرياء» وهو: الاستبشار برؤية الأغيار.

«والظلم» وهو: متابعة النفس على ما تشتهيه.

وأقول لكم: كونوا دائماً بين الخوف والرجاء، فالخوف: أن يخافَ القلبُ من الله، لِمَا علم من ذنوبه، والرجاء: سكون الفؤاد بحسن الوعد. وأديموا تصفية الروح بالرياضة، وهي: استبدال الحالة المذمومة بالحالة المحمودة.

## [الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

اجعلوا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر دينكم: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وَمَنْ أَمرَ بالمعروف ونهىٰ عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه، وخليفة رسوله ﷺ، وخليفة كتابه، وكذا أخبرنا الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة والسلام.

وقال علي أمير المؤمنين عليه السلام: أفضلُ الجهاد الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومَنْ شانَ[1] الفاسقين، وغضب لله، وجاهد في الله، ولم يبتغِ غير الإِسلام ديناً، غفر الله له.

---

(١) شانَ = عابَ.

مَثَلُ رجال السُّنَّة رضي الله عنهم وحال المداهن في حدود الله تعالى، والواقع فيها، مثل قوم في سفينة، صار بعضهم في أسفلها، فأتوه فقالوا: مالك؟ فقال: لا بد لي من الماء! فإن أخذوا عليه ومنعوه، أنجوه ونجّوا أنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم[1]. جاء في الخبر:

«مَا مِنْ قَوْمٍ عَمِلُوا بِالْمَعَاصِي، وَفِيهِمْ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يُنْكِرَ عَلَيْهِم فَلَمْ يَفْعَلْ، إِلاَّ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ الله بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ»[2].

وكان سفيان الثوري[3] رضي الله عنه يقول: إذا كان الرجل محبباً في جيرانه، محموداً عند إخوانه، فاعلم أنه مداهن!.

أجل، ومن شاهد منكراً ولم ينكره وسكت عنه، فهو شريك فيه، والمستمع شريك المغتاب، وتجري في هذه جميع المعاصي المنبّه عليها شرعاً.

ألا إِنَّ من خالط الناس كثرت معاصيه وإن كان تقيّاً في نفسه، إلا أن يترك المداهنة، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ويشتغل بالحسبة[4]

---

(١) الحديث: عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ القائم في حدودِ الله والواقعِ فيها كمثل قومٍ استهمُّوا على سفينةٍ، فصار بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها. وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مُّروا على مَنْ فوقَهُم فقالوا: لو أنَّا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نُؤْذِ مَنْ فوقنا ؟! فإنْ تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوْا ونجوا جميعاً» [رواه البخاري في الشركة والشهادات ٥/ ٩٤، ٢١٦، ٢١٧].

(٢) الحديث رواه أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الناسَ إذا رَأَوْا الظالَم فَلَمْ يأْخُذُوا على يديهِ أَوْشك أن يعمَّهم الله بعقابه منه» [أبو داود في الملاحم (٤٣٣٨)، الترمذي في الفتن (٢١٦٩) و(٣٠٥٩)].

(٣) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، أحد الأئمة الأعلام، كان لا يسمع شيئاً إلا حفظه، توفي سنة ١٦١ هـ بالبصرة.

(٤) أي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والمنع[1]

وأصل الحسبة الشرعية شيئان: أحدهما: اللطف والرفق والبداءة بالوعظ على سبيل اللين، لا على سبيل العنف والترفع، فإن ذلك يؤكد داعية النفس، ويحمل العاصي على المناكرة والإيذاء.

إذا كان الواعظ فظاً سيىء الخلق، لا سبيل له لحمقه على دفع المناكرة، يغضب لنفسه ويترك الإنكار لله عزَّ وجلَّ، ويشتغل بشفاء غليله من الموعوظ، فيصير بذلك عاصياً!.

جاء في الخبر: «لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به، رفيق فيما ينهى عنه، حكيم فيما يأمر به، حكيم فيما ينهى عنه».

وبلغنا أن أحد الوعاظ وعظ المأمون العباسي رحمه الله وأغلظ عليه وعنَّفه! فقال: يا رجل: ارفق، فقد بعث الله من هو خيرٌ منك، إلى من هو شرٌّ مني، فأمره بالرفق فيه بقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

أي سادة: أقول لكم: مَنَّ الله عليَّ، فتخلقتُ بما أمرتكم به وحثثتكم عليه، ولكن من البِرِّ أن لا تطلبوا هذا الشرط من واعظ وناصح، ولا تُظفروا الشيطان بكم بهذه الخصلة، فتقولوا: لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله، ولا ننهىٰ عن المنكر حتى نجتنبه كله، إن هذا يؤدّي إلى حسم باب الحسبة! فمن ذا الذي يُعصم من المعاصي.

«مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَإِنْ لَمْ تَعْمَلُوا بِهِ كُلِّهُ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَإِنْ لَمْ تَجْتَنِبُوهُ كُلَّهُ[2]». كذا أمرنا نبينا عليه أكرم وأفضل صلاة الله وسلامه.

---

(١) مخالطة الناس بالشروط التي وضعها السيد الرفاعي هي الأفضل لحديث رسول الله ﷺ «المؤمن الذي يُخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يُخالط الناس ولا يصبر على أذاهم» [رواه أحمد والترمذي وغيرهما].

(٢) الطبراني في «المعجم الأوسط» وابن عدي في «الكامل في الضعفاء».

## [الفلاح باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم]

وأقول لكم: مفتاح السعادة الأبدية: الاقتداء برسول الله ﷺ، في جميع مصادره وموارده، وهيئته وأكله وشربه، وقعوده، وقيامه ونومه، وكلامه؛ حتى يصحّ لكم الاتباع المطلق.

بلغنا عن بعض الأئمة أنه ما أكل البطيخ، لأنه لم يُنقل له كيف أكله رسول الله ﷺ، وسها بعضهم فابتدأ في لبس الخفّ باليسرى، فكفَّر عن ذلك بشيء من الحنطة.

وإياكم أن تقولوا: إن هذه الخصال من الأمور التي تتعلق بالعادات فتُهملوها، فإنَّ إهمالها يغلق باباً عظيماً من أبواب السعادة.

وأما العبادات، فلا أعرف لعدم اتباعه عليه الصلاة والسلام فيها من عذر، إلا أن يحصل ذلك من كفر خفي، أو حمق جلي، حمانا الله وإياكم.

## [الحض على اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم]

أي سادة: والله ما أظن أنَّ على بساط الغبراء صاحب عقل يميز بين الخبيث والطيب، إلا ويعتقد قلبهُ ويذعن له: أن العبادة التي شرعها الحبيب عليه أفضل صلاة الله وسلامه، والعادة التي كان عليها، هي الحالة المرضية عند الربِّ والخَلْق، وهي الآداب المقبولة عند الخالق، والمحبوبة عند المخلوقين، وبها يطمئن القلب، ويسكن الروع.

أيَّ فرق لا يدركه العقل من حال: المخمور، والصاحي، ومن حال: السارق، والأمين؛ ومن حال: الكاذب، والصادق؛ ومن حال: الزاني، والعفيف؛ ومن حال: المتكبر، والمتواضع؛ ومن حال: البخيل، والسخي؛ ومن حال: الظالم، والعادل؛ ومن حال: المبطل، والمحِقِّ؛ ومن حال: المغتاب، والبريء؛ ومن حال: الغادر، والرحيم؛ ومن حال:

العابد، والنائم؛ ومن حال: الغافل، والمتفكر؛ ومن حال: الفاجر، والبرّ؛ ومن حال: الكافر، والمؤمن: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١].

الله، الله بالمتابعة المحضة، لهذا الرسول العظيم ﷺ، الذي جاء رحمةً للعالمين، وحجة على المخلوقين، ونعمة للموحدين.

## [ذكر الموت]

إياكم ونسيان الموت! فإنه ينتج من الغفلة، وهي من قلّة ذكر الله، وذلك من قلة الإيمان، وأمُّ ذلك: الجهل، وهو من الضلال!.

جاء في بعض الكتب الإلَهية: أن الحق تعالت ذاته يقول: يا ابن آدم بعافيتي قويتَ على طاعتي، وبتوفيقي أدّيتَ فريضتي، وبِرزْقي قويت على معصيتي، وبمشيئتي تشاء ما تشاء لنفسك، وبنعمتي قمتَ وقعدتَ ورجعت، وفي كنفي أمسيتَ وأصبحتَ، وفي فضلي عشتَ، وفي نعمتي تقلّبت، وبعافيتي تجمَّلت، تنساني وتذكر غيري، ولم تؤدِّ شكري؛

يا ابن آدم الموت يكشف أسرارك، والقيامة تتلو أخبارك، والعذاب يهتك أستارك، فإذا أذنبتَ ذنباً صغيراً فلا تنظر إلى صغره؛ ولكن انظر إلى مَنْ عَصيْتَ؟ وإذا رُزِقْتَ رزقاً قليلاً فلا تنظر إلى قِلَّته، ولكن انظر إلى مَنْ رزقك؟ ولا تحقّر الذنب الصغير، فإنك لا تدري بأي ذنب عصيتني؟ ولا تأمن مكري، فإن مكري أخفى عليك من دبيب النملة على الصخرة في الليلة المظلمة؛

يا ابن آدم هل عصيتني فذكرتَ غضبي فانتهيت؟ وهل أديتَ فريضتي كما أَمَرْتك؟ وهل واسيتَ المساكين من مالك؟ وهل أحسنتَ إلى من أساء إليك؟ وهل غفرتَ لمن ظلمك؟ وهل وصلتَ من قطعك؟ وهل أنصفت من خانك؟ وهل كلَّمتَ من هجرك؟ وهل أدَّبتَ ولدك؟ وهل أرضيت جيرانك؟ وهل سألت العلماء عن أمر دِينك ودنياك؟ فإني لا أنظر معاشر

الآدميين إلى صوركم، ولا إلى محاسنكم وأحسابكم وأنسابكم، ولكن أنظر إلى قلوبكم، وأرضى بهذه الخصال عنكم.

أي سادة: هذه أمور تنكشف يوم القيامة، يوم التغابن، يوم الحَاقَّة، يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون، يوم الطَّامَّة، يوم الصيحة، يوم تشيب الولدان، يوم الزَلْزَلة، يوم القارعة، يوم تُنسف الجبال، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً، والأمر يومئذ لله.

## [المجالسة والصحبة]

أي سادة: جالسوا العلماء والعرفاء، فإن للمجالسة أسراراً تقِلبُ الجلاَّس من حال إلى حال، ورد في السُّنَّة[1]: من جلس مع ثمانية أصناف، زاده الله ثمانية أشياء:

١ـ من جلس مع الأمراء، زاده الله الكِبْرَ وقساوةَ القلب.

٢ـ ومن جلس مع الأغنياء، زاده الله الحرص في الدنيا وما فيها.

٣ـ ومن جلس مع الفقراء، زاده الله الرضا بما قسمه الله تعالى.

٤ـ ومن جلس مع الصبيان، زاده الله اللهو اللعب،

٥ـ ومن جلس مع النساء، زاده الله الجهل والشهوة.

٦ـ ومن جلس مع الصالحين، زاده الله الرغبة في الطاعة.

٧ـ ومن جلس مع العلماء، زاده الله العلم والورع.

٨ـ ومن جلس مع الفساق، زاده الله الذنب وتسويف التوبة.

وورد أيضاً: الصحبة مع العاقل: زيادة في الدين والدنيا والآخرة، والصحبة مع الأحمق: نقصان في الدين والدنيا، وحسرة وندامة عند

---

(١) لا يعني بكلمةِ السُّنَّة هنا حديثاً أو أثراً عن رسول الله ﷺ، بل ما تدلُّ عليه السنة وهو من ثمراتها.

الموت، وخسارة في الآخرة.

أي سادة: ثلاثة لهم شفاعة: العالم، والخادم، والفقير الصابر.

أي سادة: خذوا كل وارد غيبي، وحادث سماوي: بالبِشر والرحب، وكونوا راضين عن الله؛ قوموا بقضاء حوائج خلق الله ما استطعتم، فإن من قضى لأخيه المؤمن حاجة في الدنيا، قضى الله له سبعين حاجة في الآخرة[١].

ارحموا عزيزَ قوم ذَلَّ، وغنيَّ قوم افتقر، أكثروا من الصدقة، فإن الله يرفع بسببها البلاء، أكرموا الضِيفان، فإن ذلك كان من عادته ﷺ قبل أن يكلَّفَ.

خالقوا الناسَ بخُلُق حسن، فإن الخُلُق الحسن أفضل الأعمال، يقال: إذا لم تَسَعْ الناس بمالك، فَسَعِ الناس بخلُقك: «أَحْسَنُ الْحُسْنِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ»[٢] يبلغ صاحبُ الخُلُق الحسن رتبةَ الصائم القائم، وهو على فراشه نائم، لأن ذلك بعد المفروضات، أفضل ما يتقرب به إلى الله تعالى.

إيش تنفع عبادتك وأنت مشمئز؟ كأنك تَمُنُّ بها على الله يا مسكين! إن الله غنيٌّ عن العالمين، إذا عبدتَ الله، فاعبد الله عاكفاً على بابه، واقعاً على أعتابه، خاضعاً لسلطته، مقشعراً من هيبته، معترفاً بعجزك عن أداء

---

(١) جاء في هذا الموضوع عدة أحاديث شريفة وصحيحة منها: «... مَنْ كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومَنْ فرَّج عن مسلم كُرْبةً فرج الله عنه بها كربة من كُرَبِ يوم القيامةِ، ومَنْ ستر مُسلماً ستَرَهُ الله يُومَ القيامة» [متفقَ عليه] ومنها: «... وَمَنْ يَسَّرَ على مُعْسِرٍ يسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، ومَنْ سَتَرَ مُسلماً سَتَرَهُ الله في الدنيا والآخرة، والله في عَوْنِ العبدِ ما كان العبدُ في عَوْنِ أخيهِ» [مسلم في الدعوات ٢٦٩٩].

(٢) المستغفري في «المسلسلات» وهو ضعيف.

واجباته، متجرداً من رؤية نفسك وعملك وغير ذلك، قارعاً باب عزته وجلاله، بأكُفّ ذُلّكَ واحتقارك، وحينئذ يرجى لك القبول.

طَهِّر لسانك من لوث الكلام فيما لا يعنيك، كي يَرْفَعَ كلامك إلى حظيرة قدسه، إلى الحضرة السماوية العرشية، التي جعلها جهة الطلب، كما جعل الكعبة في الأرض جهة العبودية: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] إلى الجهة التي صرف إليها هِمَمَ خلقه، إلى محل تنزلات أمره، ليأتيك أمره وكرمه ولطفه من العلُو، فتخضع دونه، وتراك حقيراً سافلاً.

والأسرار القرآنية واضحة المفاد بهذا المعنى، قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]. وقال تعالى أسماؤه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣].

كُن حاذقاً، أي ولدي: إذا سمعتَ كلام أهل الحضرة، فإنه ظاهر غامض، تكلَّم سيد أهل الحكمة والبيان، وأفصح نوع الإنسان ﷺ بجوامع الكلم، فأوجز وأفصح، وأوضح وأغمض، وهكذا ورّاثه وأتباعه.

لا تحرد مني يا أخي: كل ما حام حول فكرك من رؤيا نفسك، ومالِكَ، وحَسَبِكَ، ونسبك، وعلمك، وبلدك، وزوجك، وولدك، وعملك، وفتحك، وكرامتك، ومزيّتك! فهو خاطر، إن قابلتَه: بالخضوع والذل، والحمد والشكر والمسكنة: انقلب فتحاً، وإن قابلتَه: بالعزة والكِبْر، والاستعلاء والغفلة: انقلب قبحاً ووسواساً وقطيعة.

فتداركْ نفسك، وأصلح شأنك، إذا انقطعتَ عن عبادة سيدك، تبكي عليك الأرض التي عبدتَ الله عليها، وكانها توددا إليك، وأسفاً عليك تقول قول القائل:

وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ جِبَالَ رَضْوَىٰ     تَزُولُ وَأَنَّ وُدَّكَ لاَ يَزُولُ

وَلَكِــنَ القُلُــوبُ لَهَــا انقِــلاَبٌ     وَحَــالاَتُ ابْــنِ آدمَ تَنْتَحِيــلُ

فإذا كانت الأرض تحن عليك، وتود سَوْقَ الخير إليك، فكيف بك؟ هذا الشأن أولى لك ، وأنت لو فقهت أولى به.

## [الدين أهم من الشطحات]

بلغني عن بعض إخواننا رجال العصر أنه يقول:

عقَدْتُ بِبابِ الدَّيْرِ عقدة زناري[(١)]     وقلتُ: خذوا لي من فقيهِ الحِمَىٰ ثاري!

يريد بذلك معاني أخرى! إياكم والقول بمثل هذه الأقاويل! حُسْنُ الظن يُلزمنا بسيدنا الشيخ، ولكنْ، أدبنا مع الدِّين ألزم، ووقوفنا مع الحق أهم؛

لا نعقد الزنار، ولا نمّر على باب الدير، ونُقَبِّلُ يد الفقيه ورجله، ونطلب منه عِلْمَ ديننا؛ ونقول: طلبَ الشيخُ مقاصدَ سَتَرها بهذه الألفاظ، وليتَهُ لم يطلبها، ولم يسترها، ويقول عوضاً عما قال:

حَلَلْتُ بِبَابِ الشَّرْعِ عُقْدَةَ زِنَّارِي     وَطَهَّرْتُ بِالفِقْهِ الإلَهي أَسْرَارِي
ومَـا الـدَّيْـرُ وَالـزُّنَّـارُ إلاَّ ضَـلاَلَـةٌ     وَمَا الشَّرْعُ إلاَّ البَابَ لِلْوَصْلِ بِالْبَارِي

نعم، حالة أهل الحب تأخذ القلب، فيطيش العقل، فيتكلم اللسان كلام من جِنٍّ أو خَمرٍ. أو غلى دمه، أو أُغشي عليه، فدعوا الرجل وربه، وهذا يكفيه منكم. وتمسّكوا بالحبل المتين، الذي مَنْ تمسك به لن يضل أبداً.

هذه الكلمات ومثلها من الشَّطَحات، التي تتجاوز حد التحدث بالنعمة، مثَلُ صاحِبِها كمثل رجل نام في بيت الخلاء، فرأى في منامه أنه

---

(١) كان من عادة الرهبان على الخصوص ربط زنّار على الوسط، فإذا ترك أحد الناس الاسلام قيل له: عقد زنّاراً وإذا أسلم أحدهم قيل: حَلَّ زنّاره.

جلس على سرير سلطنة! فلما استيقظ خجل وغرف مكانه!

الله الله بالوقوف عند الحدود، عضُّوا على سُنَّةِ السيد العظيم ﷺ بالنواجذ.

مَـــالِـــي وَأَلْفَـــاظُ زَيْـــدٍ     وَوَهْـــمُ عَمْـــرٍو وَبَكْـــرِ
وَجْـــهُ الشَّـــرِيعَـــةِ أَهْـــدَىٰ     مِـــنْ سِـــرِّ ذَاكَ وَسِـــرِّي

«صدق الله، وكَذَبَ بطنُ أخيك»(١).

أي أخي: كلُّ ما أنت فيه، إن لم يكن حلالاً فلا ثواب عليه وإن لم يكن مباحاً فأنت مسؤول عنه، وإن جئتَ بالحرام يُتلى عليك إذا لقيت ربك: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزال: ٨].

لا أقول لكم: ضاقَتْ عليكُمُ السُّبُل، وأخذكم السَّيْل، ورُددتم عن باب الكَرَم، لا وحقه تعالى؛ بل سيُظهِرُ من كرمه وإحسانه، ولطفه وفضله غداً يوم القيامة، ما يتطاول إليه طمع إبليس، وظَلَمَةُ الكافرين! ولكن أقول لكم: هو سبحانه: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣]. فتقربوا من باب مغفرته بالتوبة والعمل المرضي عنده.

وتباعدوا عن باب عقابه بترك معاصيه، وخافوه خوف عالم بعظمته وقدرته، وأضمِروا الرجاء به، رجاء موقن بكرمه، وعميم إحسانه، فإن رجاء المؤمن بِقَدْرِ خوفه، حتى لو وُزِنَا لما زاد أحدهما عن الآخر؛

---

(١) قطعة من حديث شريف عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إنَّ أخي يشتكي بطنَهُ؟! فقال: «اسقه عسلاً» فذهب ثم رجع، فقال: قد سقيته، فلم يُغنِ عنه شيئاً، مرتين أو ثلاثاً، كلُّ ذلك يقول له: «اسقه عسلاً» فقال له في الثالثة أو الرابعة: «صدقَ الله وكذَبَ بَطْنُ أخيكَ» [البخاري في الطب (١٠/ ١١٩) ومسلم في السلام (٢٢١٧)].

المصير إلى الله والرجوعُ إليه، وكل يعود إلى معدنه، ويستوفي أجله، وتعود عليه المسألة، قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

هذه الحبة التي تأكلونها نبتت بتراب أناسٍ مثلكم[١]، كان لهم قوة وبأس شديد، ذهبوا وبانوا، وكأنهم ما كانوا:

هـذَا تُـرَابٌ لَـوْ تَفَكَّـرَهُ الْفَتَـىٰ ... لَـرَأَىٰ عَلَيْـهِ مِـنَ الْجِبَـاهِ بِسَـاطـاً
وَكَــأَنَّمَــا ذَرَّاتُــهُ لَــوْ مُيِّــزَتْ ... صِيغَـتْ لأَلْسِنَـةِ الأُولـىٰ أَسْفَـاطـاً

ندوس ألْسُناً وجباهاً، وخدوداً وشفاهاً: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

هذه الدنيا، وهذه أحوالها، وهذه ديارها ورجالها، بالله عليكم هل بعد هذه الفكرة، وأخذ العِبْرة، مِنْ طمَع بها وبديارها، وإصلاحها وإعمارها؟ أُعَمِّرُ هذا الرواق، حتى يسكنه صالح، وإبراهيم، وأبو القاسم، والنساء؟ أم أُعَمِّر بيتاً أسكنه أنا إذا فارقتُ الأحباب، وتوسدتُ التراب[٢]؟

أهذا الرواق عَمَّره أبي بخَيْله ورَجِله، وأبقاه لي من بعده؟ لا والله؛ بل الله وهَبَ وأحسن، وأكرم وتحنَّن.

وهذه المنة مخصوصة بي؟ لا والله؛ بل الدنيا يعطيها لمن يُحِبُّ، ولمن لا يُحِبُّ، والآخرة لا يُعطيها إلا لمن يحب.

---

(١) أي: أنا نأكل مما تُنبت الأرضُ، وربما كان ترابها من أجساد أُناس ماتوا قديماً وصاروا تراباً، ثم تحوَّل الترابُ إلى حبٍّ وخضراوات وغير ذلك فتناوله طعاماً
رُبَّ لَحدٍ قَدْ صارَ لَحداً مِراراً ... ضاحكٍ مِنْ تزاحُمِ الأضدادِ

(٢) البيت في الدنيا يسكنه الوارثون. والبيت في الجنة قصور يسكنها صاحب العمل الصالح.

رُزق أبي بيتاً ومقاماً، وثوباً وطعاماً، وأنا كذلك، وأولادي وعيالي في لوح غيبه المحفوظ بعلمه لهم رزق، وهكذا جميع الخلق، فعلامَ هذه الخيالات، وتطرق سبيل الضلالات؟ الكيِّس من خاف ربه، ودان نفسه، وعمل لما بعد الموتِ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] آية اختلف في تفسيرها الرجال، إرث معنوي تحسن به القربى من الله للعبد إذا توسّد الأرض، أو الصالحون لإرثها وسياسة خلقه.

على مقتضى استحقاق الخلق. فإن الأعمال عينُ العمَّالِ، أجلْ عُمَّالُكم عَمَلُكُم[1]، وكما تكونوا يولَّىْ عليكم: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لله يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ١٢٨]. بيّنة على ما ذكر، وفسرها جماعة بأرض الجنة، والكُلُّ على هدى.

## [حال الإنسان تدلّ عليه]

أي أخي: أما تنظر الطفل إذا ولد، يبرز إلى الدنيا قابضاً كفه حرصاً عليها! وإذا خرج يخرج باسطاً كفه، معترفاً بفراغ يده من الأمر العارض الذي حرص عليه، كفى بالموت واعظاً، كفى بالموت واعظاً:

أَبكِي وَمِثْلِي مَنْ يَبْكِي إِذَا سَبَقَتْ ... قَوَافِلُ الْقَوْمِ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ
بُكَاءَ قَوْمٍ لِلُقْيَا الْوَالِهِينَ بِهِ ... وَإِنَّنِي الْخَائِفُ الْبَاكِي مِنَ الزَّلَلِ

أي سادة: ما تركتُ طريقاً صعباً؛ ولا مسلكاً غضاً، إلا كشفت قناعَه، ورفعتُ بأكفِّ عساكر الهمة ستره المسدول وشراعه، ودخلتُ على الله من كل باب، فرأيت على الكل[2] ازدحاماً عظيماً! فجئته من باب الذُّلِّ والانكسار، فرأيته خالياً! فوصلتُ وحصَّلْتُ مطلوبي، والطلاب على

---

(١) يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إنَّ الله لا يغيرُ ما بقومٍ حتى يُغَيِّروا ما بأنفسهم﴾.
(٢) أي على جميع الأبواب.

الأبواب؛ أعطاني ربي من فضله ومواهبه: ما لا عَيْنٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خطر على قلب بشر، مِنْ أهل هذا العصر.

وعدني رسول كرمه، أن يأخذ بيد مريديَّ ومحبيَّ، ومَنْ تمسك بي، وبذريتي وخلفائي، في مشارق الأرض ومغاربها، إلى يوم القيامة عند انقطاع الحِيَل؛ وبهذا جرتْ بيعةُ الروح، لا يخلف الله وعده.

لا تصح المكالمة لمخلوق مع الخالق بعد النبيين والمرسلين، الذين كلَّمهم سبحانه وَحياً، أو من وراء حجاب؛ وإنما وعدُ إحسانه ينجلي إلى قلوب أولياء وأحبابه بالرؤيا المنامية، والواسطة المحمدية، والإلهام الصحيح، الذي لا يخالف ظاهر الشريعة الأحمدية بحال من الأحوال: و ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الحديد: ٢١، والجمعة: ٤].

مَـوَاهِـبُ الـرَّحْمَـنِ لَا تَنْقَضِـي     وَأُمَّـةُ الْمُخْتَـارِ مِثْـلُ الْمَطَـرْ
خَـزَائِـنُ السِّـرِّ لِأَحْبَـابِـهِ     وَالْأَهْـلُ لِلْحِكْمَـةِ نَـوْعُ الْبَشَـرْ
قَـدْ يَضْلَـعُ السَّـابِقُ فِـي سَيْـرِهِ     وَيَسْبِـقُ الضُّـوَيْلِـعُ الْمُنْتَظَـرْ

اللهم زدني حكمة وفهماً، ومعرفة وعلماً، واجعلني والمسلمين من المحبوبين المقرَّبين عندك، المقتدين بنبيك ﷺ، إنك تفعل ما تشاء، وتحكم ما تريد، وأنت أرحم الراحمين.

## [الشكر والتوكل]

أي سادة: عظِّمُوا نعمة الطعام والشراب، والثياب والعافية، والأمان والدِّين، تدوم عليكم النعم.

صححوا اليقين بإشارات الصالحين، فإنَّ نعم الله عليهم هاطلة، وسُحُبُ المدد منه إليهم متواصلة، دلَّهم به عليه، وقرَّبهم به إليه، وشرح صدورهم للإيمان، وجعلهم أعيان نوع الإنسان، وتعرَّفَ إليهم فعَرفوه، وأحبهم وأحبوه: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

[المائدة: ١١٩].

اجعلوا دعائم توكلكم على الله رصينة المباني، وأساليب أدعيتكم لله خالصة المعاني، وكونوا من النفس والشيطان على حذر، وخذوا بالحزم في كل أمر، فما خاب من شدَّ مئزر الحزم بالله، وركب مطايا العزم إلى الله، ماذا يقول الواعظ بعد قول الله: ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥] ماذا يترجم الموجز بعد قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤].

ماذا يعد المنبه بعد قوله سبحانه: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

ماذا يدقق المحذر بعد قوله تقدَّس شأنه: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

ماذا يوضح الآمر بعد قول الله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

ماذا يصدع الناهي بعد قوله سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ماذا يزن اللبيب بعد قوله جل وعلا: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨] ﴿الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١ ـ ٢]. هذا كتاب الله حجة قائمة، ومعجزة دائمة، أنبأنا عما كان، وما يكون، وكشف لنا كل سر مكنون، من عَمِلَ به نجا وغنم، ومن انحرف عنه قطع وندم!.

وهذه سُنَّةُ نَبيِّه سيد النَّاجين، ووسيلة المناجين، محجة بيضاء، لا ضلال بعدها أبداً، وهذا طريق القوم: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [النحل: ١٢٨] تشهد لهم بالمعيَّة الإلَهية، معية الاختصاص، معية المعونة، معية المدد، فمن آمن بالله وكتابه، واقتدى بسُنَّة نبيِّه ﷺ، ونهج مَنْهج القوم،

وكان معهم، ودخل حزبهم فاز: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

يا أخي: دَعْ عنك طرق الوسواس، واطرح الاستئناس بالناس، وكن مع الله، وخذ الحُكْمَ والحكْمَةَ عن الله: ﴿يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩].

لا يكن حظك لسانك، لا يكن متهاك أن تكذب على نفسك بحالك.

بَدَّلْتَ بِالْحِنَّا بَيَاضَكَ أَحْمَرَا ... وَخُدِعْتَ فِيهِ وَقُلْتَ: شَعْرِي أَحْمَرُ

عَرِّجْ على حَرَمِ القُرْبِ بقوة مَطِيَّة الصدق، قامعاً صفوف الوهم بعساكر الهمة، مُلتفتاً عن دوائر الأكوان، مُشتغلاً بمراقبة المكوِّن، مُعتصماً بحبله من القطيعة، حاملاً راية الافتقار إليه، ضارباً طبل الذُّلِّ بين يديه، مُتجرداً مِن حجاب الزوجة، من حجاب الولد، من حجاب المال، من حجاب وجودك، من حجاب عبادتك؛ من حجاب يقظتك، من حجاب غفلتك.

فإن رؤياك اليقظة: غفلة عظمى، ورؤياك نورك: ظلمة دهما،(١) كل شيء لك حجاب، فافتح منه باباً إلى المقصود، وكل مقصود حائل، فتجرد منه إلى المعبود.

## [العبد التعيس]

تَعِس عبد الزوجة، تَعِس عبد الدنيا، تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار(٢)، تعس عبد الكرامة(٣)، تعس عبد الخَلْق، تعس من سار

---

(١) ظلمة شديدة.

(٢) مُقتبسٌ من حديث رسول الله ﷺ «تعِسَ عبد الدينار والدِرهَم والقطيفة [ثوب له خمل] والخميصة [ثوب صوف أوخز]، إن أُعطيَ رضيَ، وإنْ لمْ يُعْطَ لم يرضَ [البخاري في الجهاد والرقاق ١١/ ٢١٦].

(٣) يُقال تعِسَ يتعسُ: إذا عثر وانكبَّ لوجهِهِ. والمراد هنا: هَلَكَ.

للجناب الأعلى بالعزم الأدنى».

سِــرْ لِلْجِنَــابِ بِهِمَّــةٍ مَـرْفُـوعَــةٍ    عَـنْ عَـالَـمِ التَّفْصِيـلِ وَالْإِجْمَـالِ
وَارْفَـعْ جَنَـابَـكَ عَـنْ عِبَـادَةِ غَيْـرِهِ    بِحَقِيقَــةِ الْأَفْعَــالِ وَالْأَقْــوَالِ

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فُصِّلت: ٣٠].

خذ الموعظة من جوعك، من عطشك، من تحوّل أحوالك، كذلك حال المخلوقين، لا تفرح بلقلقة نحو لسانك، وأنت منصرف نحو الأغيار، لا تطمئن لغائلة فِقهك، وانكبابك عليه لصيد الدينار، لا تنقطع بفلسفتك، وأنت مفلس من محبته، لا تقف عند تصوّفك، وأنت موصوف بالبعد عنه:

كُـلُّ الْعُلُـومِ إِذَا تَخَلَّلَهَـا السِّـوَىٰ    صَارَتْ لِدَاعِي الْانْفِصَالِ مَعَالِماً

## [الطريق إلى الله]

أي سادة: الطريق إلى الله كطريق الرجل إلى البلدة الأُخرى، فيه الصعود والهبوط، والاعتدال والاعوجاج، والسهل والجبل.

الأرض القفراء التي خلت من الماء والسكان، والأرض النضرة الخضرة، الكثيرة المياه والأشجار والسكان، والبلدة المقصودة وراء ذلك كله، فمن انقطع بلذة الصعود أو بذلة الهبوط، أو براحة الاعتدال، أو بتعب الاعوجاج، أو بيسير السهل، أو بعسير الجبل، أو بغصة القفر، ولوعة العطش، أو بحلاوة النضارة والخضرة، والمياه والأشجار، والأنس بالسكان، بقي دون المقصود.

ومن لم يشتغل بكلِّ ذلك حاملاً شدة الطريق، مُعرضاً عن لذائذه، وصل إلى المقصود.

وكذلك سالك الطريق إلى الله، إنْ صرفَتْهُ صعوبةُ الأحوال عن محوّل

الأحوال، وقلبته سكرة إقبال الخلق عن مقلب القلوب! فقد فاته الغرض، وبقي دون مقصوده، وانقطع بلا ريب.

وإن ترك عقبات الطريق، حلوها ومرها وراء ظهره، فقد فاز فوزاً عظيماً.

أي سادة: أنا بايعت الله على عرفات، على ترك: الغرض، والنفس والمال.

ناجى بعض الرجال ربّه في المنام فقال: يا رب، دلّني كيف أصل إليك؟ فجاءه الجواب: اخلع نفسك وتعال.

ذهب موسى عليه السلام، يطلب قابلة لزوجته الطاهرة، وهي تعالج الطَلْق، فقال لأهله: ﴿إِنِّي آنَسْتُ ناراً لَعَلِّي آتِيكُمْ بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّار هُدَىً﴾ [طه: ١٠]: خبراً من ذي هدى يرشدني، كيف أصنع لجلب القابلة؟ ﴿فَلَمَّا أتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ نفسك وزوجتك ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ [طه: ١١ـ ١٢]، عن رؤية الزوجة والنفس.

## [الإخلاص طريق الوصول]

أي سادة: واديكم المسجد، إذا دخلتم المسجد فاخلعوا نعال الغيرية[١]، فإن العبد يُناجي ربه في الصلاة، فلينظر كيف يناجي ربه؟ وكيف يقف في حضرة مخاطبته؟ تلك حضرة الإحسان، التي طرّزتْها أقلام التقديس بحديث: «اُعْبُدِ الله كَأنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[٢].

علامة جهلك: اشتغالك بنفسك وأهلك! لا أقول لك: دعهم على

---

(١) أي: لا تلتفتوا إلى غير الله تعالى.

(٢) مُقتبسٌ من قطعة من حديث شريف في تعريف الإحسان: «أَنْ تعبُدَ الله كأنك تَراه، فإنه لم تكنْ تراهُ فإنَّهُ يراك» [مسلم في الإيمان (٨)].

حافة الإهمال، وخُذْ لك صومعة في الجبال بل أقول لك: تقرَّب إلى الله بخدمة عيالك، وروِّحْ نفسك وطب بربك عن الكل.

فإن الربوبية تقدست وجلَّتْ عن وصف المشاركة في كل حال، رُدَّتْ أعمال الشرك إلى المشركين، وقُبِلَتْ أعمال التوحيد من الموحدين: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣] وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١١٠].

أي سادة: إذا استعنتم بعباد الله وأوليائه، فلا تشهدوا المعونة والإغاثة منهم، فإنَّ ذلك شِرْكٌ[1]؛ ولكن اطلبوا من الله الحوائج، بمحبَّته لهم: «رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ الله لأَبَرَّهُ»[2]. صرفهم الله في الأكوان، وقَلَّبَ لهم الأعيان، وجعلهم يقولون بإذنه للشيء: كن فيكون.

عيسى عليه السلام خَلَقَ طيراً من الطين بإذن الله، أحيىٰ الموتى بإذن الله.

نبينا وحبيبنا، سيد سادات الأنبياء محمد عليه أفضل الصلاة والسلام حَنَّ الجذع إليه، وسلَّمت الجمادات عليه[3]، وجمع الله به ما تفرق في الأنبياء والمرسلين من المعجزات؛ وَجَرَتْ أسرار معجزته في أولياء أمته، فهي للأولياء كرامات تَمُرُّ، وله عليه الصلاة والسلام معجزة تَسْتَمِرُّ.

---

(١) هذا أصل من أصول الإيمان لابدَّ من فهمه والانتباه له، فقد وقع كثير من الناس في الشرك وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

(٢) مسلم في البر (٢٦٢٢)، والأشعث: مَنْ تلبَّد شعره لقلة تعهده. أغبر: لعلوه الغبار. مدفوع بالأبواب: يُدفع لفقرة. أبرَّهُ: أعطاه.

(٣) كثيرة جداً معجزات النبي ﷺ، ترويها كتب السيرة النبوية، وتذكرها تفصيلاً كتب «دلائل النبوة» وأهمها بين أيدينا، وفي قلوبنا، وعلى ألسنتنا: القرآن الكريم المعجزة الباقية التي لا تنفد.

أي ولدي: أي أخي: إذا قلتَ: اللهم إِني أسألك برحمتك، فكأنّك قلت: أسألك بولاية عبدك الشيخ منصور وغيره من الأولياء، لأن الولاية اختصاص: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥ وآل عمران: ٧٤] فإذاً، إياك وإعطاء قدرة الراحم إلى المرحوم؛ فإن الفعلَ والقوةَ والحولَ: له سبحانه، والوسيلة رحمتهُ التي اختص بها عبدَه الوليَّ، فتقربْ برحمته ومحبته وعنايته، التي اختص بها خواص عباده إليه عند حاجتك، وَوَحِّدْهُ في كل فعل، فهو غيور(١).

أي سادة: من طَرَقَ الباب بالخضوع، فتح له بالقبول، ومن دخل الرحاب بالانكسار، جلس في بيت العزة.

أي أخي: عليك بملازمة الشرع بأمر الظاهر والباطن، وبحفظ القلب من نسيان ذكر الله، وبخدمة الفقراء والغرباء، وبادر دائماً بالسرعة للعمل الصالح، من غير كسل ولا ملل، وقم في مرضاة الله، وقف في باب الله، وعوِّد نفسك القيام في الليل، وسلِّمها من الرياء في العمل، وابْكِ في خلواتك وجلواتك على ذنوبك الماضية.

يا ولدي: إن الدنيا خيال، وما فيها زوال.

يا ولدي: هِمَّةُ أبناء الدنيا دنياهم، وهمة أبناء الآخرة آخرتهم، وإياك والدعوى الكاذبة، واترك الخوض في بحور التوحيد، واجعل اعتقادك اعتقاداً ثبوتياً لا يتغير، واشغل ذهنك عن الوساوس الشيطانية، وحذِّر نفسك من مصاحبة صديق السوء، فإن عاقبة مصاحبته الندامة، والتأسف يوم القيامة، كما قال الله تعالى: ﴿يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٨] وقال الله تعالى: ﴿يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ

---

(١) أي لا تسأل الله تعالىٰ بولاية العباد، ولا بأي شيء غيره جلَّ جلاله، لأنَّ الرحمات عليهم باختصاص، ولأنه تعالى غيور لا يرض أن يُسأل بغيره لأنَّ الفعل والقوّة والحول له ومنه سبحانه.

﴿الْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٨].

فاحفظ نفسك من القرين السوء، لكيلا تُخاطبه متأسفاً على مقارنته بين يدي الله بهاتين الآيتين، وهناك ندامتك لا تنفع، وكلامك لا يُسمع!.

## [خلاصة الشريعة الإسلامية]

يا ولدي: ما أكلتَه تفنيه، وما لبستَه تبليه، وما عملته تلاقيه، والتوجه إلى الله حَتْمٌ مَقْضيّ، وفراق الأحبة وعدٌ مأتِيٌّ.

والدنيا: أولها ضعف وفتور، وآخرها: موت وقبور؛ لو بقيَ ساكنُها ما خربتْ مساكنُها، فاربط قلبك بالله، وأَعرض عن غير الله، وسلِّم في جميع أحوالك لله، واجعل سلوكك في طريق الفقراء بالتواضع، واستقم بالخدمة على قَدمَ الشريعة، واحفظ نيتك من دنس الوسواس، وامسك القلب عن الميلِ إلى الناس، وكُلْ خبزاً يابساً، وماءً مالحاً من باب الله؛ ولا تأكل لحماً طريّاً وعسلاً، من باب غير الله، وتمسَّك بسبب لمعيشتك بطريق الشرع من كسب حلال، واترك الحيلة بالسبب، وإياك من كسر خواطر الفقراء، وصِلِ الرحم، وأكرم الأقارب، واعفُ عمن ظلمك، وتواضع لمن تكبر عليك، ولا تتردد لأبواب الوزراء والحكام، وأكثر من زيارة الفقراء، وأكثر من زيارة القبور، وليِّن كلامك للخلق، وكَلِّمْهُمْ على قَدْرِ عقولهم، وحسِّنْ خُلُقَكَ، وامتزج الناسِ بحسن المزاج، وأعرض عن الجاهلين، وقم بقضاء حوائج اليتامىٰ وأكرمهم، وأكثر التردد لزيارة المتروكين من الفقراء، وبادِرْ لخدمة الأرامل، وارحم تُرحم، وكن مع الله، ترَ الله معك، واجعل الإِخلاص رفيقك في سائر الأقوال والأفعال، واجتهد بهداية الخلق لطريق الحق.

## [الوليّ يَخفي كرامته]

ولا ترغب للكرامات وخوارق العادات. فإن الأولياء يسترون من

الكرامات، كما تستتر المرأة من الحيض، ولازم باب الله، ووجِّهْ قلبك لرسول الله ﷺ، واجعل الاستمداد من بابه العالي، بواسطة شيخك المرشد[1]، وقم بخدمة شيخك بالإِخلاص، من غير طَلَب ولا أَرَب، واذهب معه بمسلك الأدب، واحفظ غَيْبته، وتقيَّد بخدمته، وأكثر الخدمة في منزله[2]، وأقلل الكلام في حضرته، وانظر له بنظر التعظيم والوقار[3]، لا نظر التصغير والاحتقار؛ وقم بنصيحة الإِخوان، وألِّف بين قلوبهم، وأصلح بين الناس واجمع الناس - مهما استطعت - على الله بطريقتك، ورغب الناس بالصدق للدخول في باب الفقراء، والسلوك بطريق القوم، وعَمِّرْ قلبك بالذِّكْر، وجَمِّلْ قالبك بالفكر، ونَوِّرْ نِيتك بالإِخلاص، واستعن بالله، واصبر على مصائب الله، وكن راضياً من الله، وقل على كل حال: الحمد لله.

وأكثِرْ الصلوات على الرسول الأكرم ﷺ، وإن تحرَّكتْ نفسُك بالشهوة أو الكِبْرِ فَصُمْ تطوّعاً لله، واعتصم بحبل الله، واجلس في بيتك، ولا تُكثر الخروج للأسواق، ومواضعَ الفُرَجِ؛ فمن ترك الفُرَجَ نال الفَرَجَ، وأكرم ضيفك، وارحم أهلك وولدك، وزوجك وخادمك؛.

---

(١) المرشد في فهم الشريعة، ونقاء النفس، وصلاح القلب والهمَّة العالية.

(٢) كان الشيوخ والمرشدون في زمن المؤلف يفتحون بيوتهم للناس من طلبة وسائلين وفقراء وعلماء يطلبون الزيادة، وهذا يتطلب خدمة ورعاية، ولا يستطيع الشيخ وأهله خدمة كلِّ هؤلاء الناس، لذلك كان لا بدَّ للمريد من القيام بواجب الخدمة. فهي في حقيقتها للمريدين والناس. وليست للشيخ.

(٣) إن لبعض العلماء من الوقار والسَّمت الحسن والمهابة والتقوى ما يجعلهم أهلاً للتعظيم والوقار، وجمع الناس عليهم ومحبتهم، وقد اجتمعتُ منذُ يومين بأحدهم وهو الشيخ حسين صعبية مدير المعهد الشرعي دار الحديث الذي يتلقى ولدي محمد فيه دراسته، فكان مثالاً للشيخ الواعظ المرشد القدوة الذي يجمع صفات الوقار والسمت الحسن بتواضع ونبل وعلم كثير، جعل الله منزله ومنزلتنا في أعلى عليين يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا مَنْ أتى الله بقلبٍ سليم.

واذكر الله في كل أمر، وأخلِص لله بالسر والجهر، واعمل للآخرة عملاً حسناً، واجعل عملك في الدنيا عمل الآخرة و﴿قُلِ اللهُ[1] ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

هذه نصيحتي لك، ولكلٍّ من سلك طريقتي، ولإخواني، ولجميع المسلمين، والمحبين، كثَّرهم الله تعالى، وأستغفر الله العظيم من جميع الذنوب، خفيِّها، وجليِّها، كبيرها وصغيرها، وأتوب إليه، إنه هو التواب الرحيم.

## [نجاة المرء بعمله]

يا ولدي: قال سيد الأنام ﷺ: «مَا أَسرَّ عَبْدٌ سَرِيرَةً إِلاَّ أَلْبَسَهُ الله رِدَاءَهَا، إِنْ خَيْراً فَخَيْرٌ، وَإِنْ شراً فَشَرٌّ»[2].

يا ولدي: قال سيد الأنام ﷺ: «إِنَّ الله يُحِبَّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ»[3].

يا ولدي: إن مَلَكْتَ عقلاً حقيقياً، ما مِلتَ إلى الدنيا وإن مالت لك، لأنها خائنة كذَّابة، تضحك على أهلها! مَنْ مالَ عنها سَلِمَ منها، ومن مال إليها بُلِيَ فيها!.

وفي الحديث: «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ»[4]. فكما أنَّ حبَّها رأسُ

---

(١) سبق الحديث عن ذكر الله تعالى: وأنَّ أفضله ما كان على الطريقة التي علَّمَها الرسول ﷺ: ﴿ما آتاكم الرسولُ فخذوهُ...﴾ وكتب الحديث الشريف ملآى ببيانه وشروحاته.

(٢) الهيثمي في «مجمع الزوائد».

(٣) مسلم في الزهد والرقاق (٢٩٦٥) والمراد بـ «الغنيّ»: غنيُّ النَّفس، والتقيّ: المتمثل للأوامر، المجتنب للنواهي، الخفيّ: الخامل الذكر الذي لا يُعرف بين الناس، المعتزل لهم، المنقطع لعبادة ربه.

(٤) انظر السخاوي في «المقاصد الحسنة» ١٨٢.

كل خطيئة، فكذلك بغضها والإِعراض عنها: رأس كلٍّ حسنة.

هي كالحية، ليِّنٌ لمسها، قاتِلٌ سُمُّها، لذَّاتها سريعة الزوال، وأيامها تمضي كالخيال.

فاشغل نفسك فيها بتقوى الله، ولا تغفل عن ذكره تعالى ذرَّةً واحدة، وإنْ طرقَكَ طارق الغفلة ذرة فاستغفر الله وارجع لباب الملاحظة، واذكر الله، واستحِ منه، راقبه في الخلوات والجلوات، واحْمَدْه واشكره على الفقر والغنى، واترك الأغيار فما في الدار غيره ديَّار.

يا ولدي: كن صوفياً صافياً، ولا تكن صوفياً منافقاً فتهلك!.

التصوف: الإِعراض عن غير الله، وعدم شغل الفكر بذات الله، والتوكل على الله، وإلقاء زمام الحال في باب التفويض، وانتظار فتح باب الكَرَم، والاعتماد على فضل الله والخوف من الله في كل الأوقات، وحسن الظن به في جميع الحالات.

يا ولدي: إذا تعلمت علماً، وسمعت نقلاً حسناً، فاعمل به، ولا تكن من الذين يعلمون ولا يعملون.

يا ولدي: نجاة العالم عملُه بعلمه، وهلاكه ترك العمل، ففي الحديث: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ الله بِعِلْمِهِ»[1].

## [حفظ الوقت والفكر]

فلا تضيع أوقاتك باللهو والطرب، وسماع الآلات، وكلمات المضحكين! واترك الفرح، فإن الفرح في الدنيا جنون، والحزن فيها عقل، وكمال الخلود فيها محال، والانكباب عليها جهل وضلال[2].

---

(١) البيهقي في «شعب الإيمان».

(٢) قرأتُ تعليقاً مُفيداً للشيخ عبد الغني نكه مي ـ جزاه الله خيراً ـ على هذا النص أنقُلُهُ كماهو: في سيرة سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى: نماذج ظريفة وأقوال

اجعل فكركَ يا ولدي: مشغولاً بِمَنْ سَلَفَ قبلك من الأنبياء والمرسلين، والجبابرة والسلاطين، ماتوا وكأنهم ما كانوا! هم السابقون ونحن اللاحقون، فِسرْ على منهاج الصالحين لتحشر في زمرتهم، ولتكون من فرقتهم: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللهِ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢] اهـ[1].

أي سادة: سِرُّ الحقيقة ظاهر، وعَلَمُ المعرفة منصوب، وباب الوصول

---

(١) منيفة، حول الفرح والحزن، والضحك والبكاء، ولقد جمع لنا شيئاً من أخبارهم سيدي عبد الوهَّاب الشعراني رضي الله عنه، في كتابه القيِّم: «تنبيه المغترين» [تحقيق الشيخ الفاضل عبد الجليل عطا] وإليك أي أخي الكريم بعضاً منها:

ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم: قلة الضحك، وعدم الفرح بشيء من الدنيا؛ بل كانوا ينقبضون بكل شيء حصل لهم من: ملابسها، ومراكبها، ومناكحها، ومناصبها، عكس ما عليه أبناء الدنيا، كل ذلك خوفاً أن يكون من جملة ما عجِّل لهم من نعيم الآخرة، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، وَلَمَّا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَىٰ الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ عَزَّ وجَلَّ» [رواه البخاري، والترمذي، والحاكم، عن أبي ذر رضي الله عنه].

وقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «عجبتُ من ضاحكٍ ومن ورائه النار، ومن مسرور ومن ورائه الموت».

وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى لا يراه أحد إلاَّ ظنَّ أنه قريب عهد بمصيبة، لِما يراه به من شدة الحزن والخوف.

وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول: «رُبَّ ضاحكٍ وأكفانه قد خرجت من عند القصَّار»!.

وكان ثابت البناني رحمه الله تعالى يقول: «ما ضحك مؤمن قط إلاَّ وهو في غفلة عن الموت»!.

وكان عامر بن قيس رحمه الله تعالى يقول: «أكثر الناسِ ضحكاً في الدنيا أكثرهم بكاء في النار».

انتهى كلامه رضي الله عنه، باختصار.

مفتوح، حجبكم عن رؤية هذه المعاني الشريفة: حبُّ الدنيا، ونسيان الموت.

والعجبُ ممن يعلم أنه يموت، كيف ينسى الموت؟!.

والعجبُ ممن يعلم أنه مفارق الدنيا، كيف ينكب عليها؟! ويقطع أيامه بمحبتها؟.

والعجبُ ممن يعلم أنه راجع إلى الله، كيف ينحرف عنه ويلتفت لغيره؟ والله غفلتكم هذه خطبٌ جسيم، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

بالكذب تُشْرحون، وفي بساتين الجهل تسرحون، وبأمر الرزق تحتالون، ومن العذاب تأمنون، وكأنكم ما قرأتم: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، أو كأنكم ما سمعتم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦ـ ٥٧].

تَكَفَّلَ برزقكم، فبحيلته اشتغلتم! ولم يتكفَّل لأحد بالجنة وبعمل المُبَشَّرِينَ بها عملتم، ضيعتم الأوقات باللهو والنيسان، وقطعتم الأيام بالغفلة والعصيان، مزاحكم مزاح من أمن الندامة! ولَهْوُكُمْ لهو من لم يسمع بيوم القيامة! كأنكم إلى القبور لا تنظرون؛ وبمن سكنها لا تعتبرون! أين آباؤكم؟ أي أجدادكم الذين مضوا من قبلكم؟ أين من جمعوا مالاً أكثر منكم؟ وحملوا جهلاً أَزْيَدَ من جهلكم؟ بالله كفرتم! أم على الله استكبرتم؟.

## [الموت حق]

إخواني: من عرف نفسه بالفناء، وعرف الله بالبقاء، ميَّل نفسه عن الدنيا، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤٠ـ ٤١].

خاطَبَ حبيبه بقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

فاجمعوا همتكم على الوصول لمراتبِ السَّلَف، لكيلا تدخلوا تحت قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]. واقرعوا باب الكريم بيد الفقر والاضطرار، وادخلوا عليه تعالى من باب الذلِّ والانكسار، فلا بدَّ والله من نقلتي وإياكم لدار الآخرة، ولا بد من وضعي وإياكم في القبور الدائرة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ـ ٨].

فالناجي مَنْ عامَلَ الله بتقواه، وكان في الحياة يخشاه.

إخواني: أصعب الأشياء: مفارقة الأحباء، ومقارنة[1] الأعداء، وأحلاها مفارقة الأعداء، ومقارنة الأحباء.

ففارقوا أعمال السوء لتقارنوا أعمالكم الصالحة في قبوركم، فوالله لم يقارن المرء من أصحابه تحت طيِّ لحده إلا عمله الصالح.

إخواني: إنْ غرَّكم لباسُ الحُكَّام والأعيان، وزينتُهم وسلاحُهم، وضاقت صدوركم بهذا، فاذهبوا إلى المقابر، وانظروا آباءكم وآباءهم، تجدوا الكُلَّ في التراب، والله أعلم بمن هو في النعيم، وبمن هو في العذاب، فأنتم كذلك مع هؤلاء تتساوَوْن: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

## [لاتشتغل بما لا يعنيك]

يا ولدي: إياك من الاشتغال بما لا يعنيك من الكلام والأعمال وغيرها، وارجع بنفسك عن طريق الغفلة، وادخل من باب اليقظة، وقِف

---

(١) مقارنة: من القرين وهو الصاحب، أي: مُصاحبة الأعداء.

بميدان الذل والانكسار، واخرج من مقام العظمة والاستكبار، فإنك من مضغةِ ابتداؤك، وجيفةِ انتهاؤك، فقف بين الابتداء والانتهاء بما يليق لمقامهما، وإياك يا ولدي من الحسد، فإن الحسد أمُّ الخطايا، لأن الشيطان لمّا حسد آدم تكبر عليه، وأبىٰ أن يسجد له، وكذب عليه حين حلف له ولحواء: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]، فَطُرِدَ من رحمة الله تعالى!.

فالكذبُ والكِبْرُ والحسد: سببٌ لطرد العبد من باب الربِّ، فلا تعوِّدْ نفسك على هذه الخصال قطعاً، واقطع نفسك إلى الله.

واعلم بأن الرزق مقسوم، فإذا تحقَّقْتَ ذلك، ما حسدْتَ.

واعلم بأنك ميِّت، فإذا تحققت ذلك ما تكبَّرْت.

واعلم بأنك محاسَب، فإذا تحققت ذلك ما كذَبْت.

واغضض طرفك عن النظر إلى أعراض الناس، فضلاً عن العمل الرديء، فإنك كما تدين تدان، وكما أن لك عيناً فلغيرك عيون، وكما أنت يُولَّى عليك، وامسك لسانك عن مذمة الخلق فإن للخلق ألسناً.

نظرك فيك يكفيك، وكما تقول بالناس يقولون فيك، وحاسب نفسك في كل يوم، واستغفر الله كثيراً، وكن طبيب نفسك ومرشدها، ولا تغفل عن حساب نفسك، وإياك من الاشتغال بحظ النفس.

أي سادة: الأُنس بالله لا يكون إلاَّ لعبد قد كملت طهارته وصفا ذِكْره، واستوحش من كل ما يشغله عن الله عزَّ وجلَّ.

التوحيد: وَجَدَانٌ تعظيمٍ في القلب، يمنع من التعطيل والتشبيه.

الكشف: قوة جاذبة بخاصيتها نور عين البصيرة إلى فضاء الغيب، فيتصل نورها به اتصال الشعاع بالزجاج الصافية، حال مقابلتها إلى فيضه، ثم ينصرف نوره منعكساً بضوئه على صفاء القلب، ثم يترقى ساطعاً إلى

عالم العقل، فيتصل به اتصالاً معنوياً، له أثر في استفاضة نور العقل على ساحة القلب، فيُشرق القلب على إنسان عين السر، فيرى ما خفي عن الأبصار موضعه؛ ودقَّ عن الأفهام تصوره، واستتر عن الأغيار مَرْآه.

## [صلاح القلوب]

أي سادة: إذا صلح القلب، صار مهبط الوحي والأسرار والأنوار والملائكة؛ وإذا فسد، صار مهبط الظُّلَم والشياطين!.

إذا صلح القلب، أخبر صاحبه بما وراءه وأمامه، ونَبَّهه عن أمور لم يكن ليعلمها بشيء دونه.

وإذا فسد، حدَّثه بباطلات يغيب عنها الرشد، وينتفي معها السعد.

ولذلك أرى أن من شرط الفقير: أي يرى كل نَفَس من أنفاسه كالكبريت الأحمر؛ بل أعز منه، ويودِّع كل نَفَس أعز ما يصلح له فلا يضيع له نفس، الأمر أعظم مما تظنون، وأصعب مما تتوهمون!. أفضل العبادات والطاعات: مراقبة الحقِّ على دوام الأوقات.

علامة الأُنس: رفع الحجب بين القلوب وبين علاَّم الغيوب.

المحبة أغصانٌ تزرع في القلوب، فتثمر على قدر العقول، ما أحبَّ أن يُعرَف إلاَّ شقيٌ.

ليس من التصوف: أَحبوني، ولا: أكرموني، ولا: زوروني!.

ما وقف على باب أهل الدنيا رجل كامل المعرفة.

الأُنس بالخلق: انقطاع عن الحق، ومن اعتز بغير الله ذَلَّ، ومن حُرِمَ درجة اليقين، سقط من مراتب المتقين، ومن انقطع لله وصله.

الانقطاع إلى الله، حال أهل الحال مع الله، لو أردتُ أن أتكلم عليكم

بلسان الحال، لَوَقَرْتُ[1] لكم ستين بعيراً بإذن الله، ولكن أقول لكم: لو تكلم المتكم حتى أصمَّ الأسماعَ، وكان كلامه مردوداً عند الظاهر، فتركه الكلام أولى له، وإذا سكت حتى ظن جليسه أنه لا يتكلم، ثم تكلم بكلمة واحدة سانحة من الباطن، سابحة في الظاهر، مقبولة عند الشرع، فتح الله لسماع كلمته القلوبَ، وتلقاها السامعون بالإذعان، وتكفيه.

## [حقيقة الصوفية]

كل حقيقة رَدَّتْها الشريعةُ فهي زندقة! إذا رأيتم شخصاً تربَّع في الهواء، فلا تلتفتوا إليه حتى تنظروا حاله عند الأمر والنهي.

أي سادة: كل حال القوم من أولهم إلى آخرهم تحت أربع درجات، وكل حال العلماء والفقهاء كذلك.

١ـ فأما الدرجة الأولى من حال القوم: فدرجة رجل طلب المرشد لما رأى من إقبال العامة على الطائفة، فأحب ذلك وفرح بالرواق والجمعية والزِيّ!.

٢ـ والدرجة الثانية: درجة رجل طلب المرشد عن حسن ظن بالطائفة، فأحبهم وأحب ما هم عليه، وأخذ بصميم القلب كل ما نقل عنهم، وأخذ منهم بالاعتقاد الصحيح النظيف.

٣ـ الدرجة الثالثة: درجة رجل سلك المقامات، وقطع العقبات، وبلغ من الطريق العوالي من الدرجات، ولكن وقف تارة عند قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

فساعةً يرى الكون بمشهد الآية التي أُرِيَتْ له، فيغيب بها عمَّن أراه إياها، وساعة يرى نفسه بمشهد الآية التي أُرِيتْ له في نفسه، فيغيب بها؛

---

(١) وَقَرَ: ملأظهر البعير. أي كما نقول اليوم: لملأتُ ستين سيارة كبيرة.

وهذا المشهد مشهد إدلال؛ ومنه تحصل الشطحات والتجاوز، وإظهار العلو على العوالي، والبروز بحال السلطنة، والظهور بالقول والفعل، والحول والقوة.

٤ـ والدرجة الرابعة: درجة رجل سلك الطريق، مقتفياً آثار النبي ﷺ، في كلِّ قول وفعل، وحال وخُلُق، حاملاً راية العبدية، فارشاً جبين الذل في الحضرة الربانية، يشهد على هامه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، ويقرأ من صحيفة جبهة كل ذرة مخلوقة: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

يقف عند حده، ويبسط على تراب الأدب بساط خده، ويمر في أثناء سيره على عقبات الآيات، فينصرف عنها إلى المعبود ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

فصاحب الدرجة الأولى: محجوب.

وصاحب الدرجة الثانية: مُحبٌ.

وصاحب الدرجة الثالثة: مشغول.

وصاحب الدرجة الرابعة: كامل.

وفي كل درجة من الدرجات المذكورات، درجات كثيرة تظهر للعارف من حال الرجل.

وأما درجات العلماء والفقهاء:

فالدرجة الأولى: درجة رجل طلب العلم للمماراة، والجدال، والتفاخر، وجَمْعِ المال، وكثرة القيل والقال!.

والدرجة الثانية: درجة رجل طلب العلم لا للمناظرة، ولا للرياسة، ولكن ليُحسب في عداد العلماء، فيمدح بين أهله وعشيرته، وأهل قريته، مكتفياً بهذا المقدار، متمسكاً بالظاهر لا غير!.

والدرجة الثالثة: درجة رجل حلَّ عويص المشكلات، وكشف دقائق المنقولات والمعقولات، وغاص بحور الجدل، مُضمراً الهِمَّة لنصرة الشرع في أحواله، إلا أنه أخذته عزة العلم على مَنْ هو دونه، وإذا انتصر للشرع وعورض بدليل، اختطفته نصرة نفسه، فأفرط وأقام الأدلة على خصمه، وشنَّع عليه، وربما كَفَّره وطعن فيه! وهجم عليه هجوم الحيوان المفترس، مع عدم رعاية الحد المحدود شرعاً، في كل حال من أحواله وأحوال خصمه.

والدرجة الرابعة: درجة رجل علَّمه الله، فنصب نفسه لتنبيه الغافل، وإرشاد الجاهل، ورد الشارد، ونشر الفوائد النصيحة، وإنكار ما يُنكر شرعاً، وقبول ما يقبل شرعاً، بحسن التجرّد من الغرض، يرى أن الحسَنَ ما حسَّنه الشرع، والقبيح ما قبَّحه الشرع، يأمر بالمعروف أمْرَ حكيم غير غليظ ولا فظ، وينهى عن المنكر نهي مُشفق غير ظالم ولا عاد:

فصاحب الدرجة الأولى: سيء.

وصاحب الدرجة الثانية: محروم.

وصاحب الدرجة الثالثة: مغرور.

وصاحب الدرجة الرابعة: عارف.

وفي كل درجة من الدرجات المذكورات كذلك درجات تظهر من حال الرجل، المعصوم من عصمه الله، وقد ظهر لكم.

## [طريق الصوفية الصحيح]

أي سادة: إن نهاية طريق الصوفية: نهاية طريق الفقهاء ونهاية طريق الفقهاء، نهاية طريق الصوفية، وعقبات القطع التي ابتلي بها الفقهاء في الطلب، هي العقبات التي ابتلي بها الصوفية في السلوك، والطريقة هي: الشريعة، والشريعة هي: الطريقة، والفرق بينهما لفظي، والمادة والمعنى

والنتيجة واحدة.

وما أرى الصنوفي إذا أنكر حال الفقيه إلا ممكوراً! ولا الفقيه إذا أنكر حال الصوفي إلا مبعوداً! إلا إذا كان الفقيه آمراً بلسانه لا بلسان الشرع، والصوفي سالكاً بنفسه لا بسلوك الشرع، فلا جناح عليهما! والشرط هنا: الصوفي الكامل، والفقيه العارف كما ذكرنا.

كيف يعمل الصوفي الكامل إذا قال له الفقيه العارف: أأنت تقول لتلامذتك: لا تُصَلُّوا! لا تصوموا! لا تقفوا عند حدود الله؟ بالله عليكم، هل يقدر أن ينطق إلاَّ: بحاشا لله؟!.

كيف يعمل الفقيه العارف إذا قال له الصوفي الكامل: أأنت تقول لتلامذتك لا تكْثروا ذكر الله، لا تُحاربوا النفس بالمجاهدات؛ لا تعملوا بصحة الإخلاص لله؟ بالله عليكم، هل يقدر أن ينطق إلاّ: بحاشا لله؟!.

فحينئذ اتحدت المادة والمعنى والنتيجة، واختلفت اللفظة لا غير، فَمَنْ حجبه من الصوفية حجاب اللفظة، عن أخذ ثمرة المادة والمعنى والنتيجة، فهو جاهل.

ما اتخذ الله ولياً جاهلاً، ومن حجبه من الفقهاء حجاب اللفظة عن أخذ ثمرة ما ذكرناه، فهو محروم، اللهم إني أعوذ بك من علم لاينفع.

قل يا أخي: للمساكين المحجوبين من الصوقيه: ما تريدون أن يوجد في قطركم هذا: رجل عالم يدفع شبه الملحدين؛ وأهل البدع والزيغ بالحجج الظاهرة؟!.

قل يا أخي: للمساكين المحجوبين من الفقهاء: ما تريدون أن يوجد في بلادكم هذه: رجل يقهر أهل الجحود والضلال والعناد: بالكرامات الباهرة؟.

يشتهي خاطركم أن سر اللسان المحمدي ينقطع؟! تُحب نفوسكم أن سلطان المعجزة النبوية يُخذل؟!: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا

مَعَهُ، نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [التحريم: ٨].

تشهد ببقاء هذا اللسان النبوي، وهذا السلطان المحمدي: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣١].

تثبت دوام هذه الحقائق، تحفرون آبار قطعكم بأيديكم؟! يا خاصة؟! يا عامَّة! يا رجال الطائفتين[١]! أنتم طائفة واحدة: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] لا تدخلوا تحت قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٢]، عليكم أن ينصح فقيهُكم جاهلكم. وأن يقود كاملُكم ناقصَكم، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، لا بقهر، ولا بغدر، ولا بظلم، ولا بِكبْر، ولا بعلوٍّ، لا بأس إن صدعتَ بما أُمِرْتَ به على لسان نبيك ﷺ، ولكن قبل الصدع: عُرْفُ المعروف مغناطيس جذاب.

إيش تريد يا صوفي: يا فقيه، يا من جمع بين الشأنين: تريد أن تَسُبَّ العباد وتبغي عليهم؟ وأن تعلو وتغلو! ما هذه والله طريقة نبيك؛ ولا سنة وليِّك ﷺ، كان إذا نهى عن خُلُق لم يُسَمِّ فاعله، ويقول: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا؟»، أَوْ «مَا بَالَ الرَّجُلِ يَقُولُ كَذَا؟»[٢] أو كما قال.

كيف إذا قلت لكم: يا أهل «أمِّ عبيدة»[٣]! أنتم كذا وكذا، وشتمتكم وأغلظتُ عليكم، ونسبتُ إليكم القبائح! ثم طرتُ في مجلسي هذا إلى الجوِّ ورجعت؟ هل لا تبقى في قلوبكم مرارة الشتم والسبِّ، ولو غلبكم سلطان طيراني، وهيبة حالي؟! بلى والله، وهذا الذي انطوت عليه انطوت عليه الطباع كلها.

---

(١) أي: الصوفية والفقهاء.

(٢) هذا كثير عنه ﷺ، ومَنْ تتبع الأحاديث الشريفة من مصادرها تعلَّم الكثير من أدب الدعوة والمعاملة.

(٣) أم عبيدة: بلدة الشيخ الرفاعي كما سبق في المقدمة.

ولعل الفقيهَ أبا شجاع يقول في نفسه: ما أَغْلَظَ رسولُ الله ﷺ في مواعظه بِشَتْمٍ وَسَبٍّ، ولا صرَّح باسْمِ أحد، ولا طار، ولا تسلط بقوة المعجزة على الطباع.

ولعل الشيخ الفقيه عمر الفاروثي يقول: قال الله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وكيف لو قال لكم واعظ في مسجد الشط[١]، على حصيرة مقطوعة، بثياب رثة: أي أحبابي، أي إخواني، شارب الخمر ملعون، الكذَّاب ملعون، الظالم ملعون؛ وكان في مجلسه مَن ابتلاه الله بهذه الأوصاف، هل تنفر نفسه من الرجل نفرة استعظام؟ أو تأخذه حالة فقره وانكساره إلى التوبة، وإن لعبت نفسه عليه؟ وأيِ حال أقرب؟ بلى والله، حالُ الاتعاظ ـ بتجرد الرجل عن نفسه وحَوْله وطَوْله! أقرب وأشد وقعاً في النفوس، من الغلبة القاهرة، فإن الغلبة القاهرة تبقي بقية مضمرة في النفس، كيف كانت وحالة الانكسار لا تُبقي ولا تذر وتدخل إلى دائرة النفس فتطهرها، وإلى دائرة القلب فتَقَرُّ فيه، ولا يبقى معها ضدها أبداً، فإذا وعظتمُ الناسَ إياكم والتصريح، وخذوا بالتلويح، فإن هناك رائحة السُّنَّة، وشمة النفحة النبوية، وبها ـ والله ـ يُصلح الله القلوب، فلا حاجة معها لأحوالكم أبداً.

إيش نقول للذي يعجبه علوه على الناس! ويُحب انقياد الرقاب إليه؟ خلِّ عنك يا مسكين! انقادت لك الرقاب، وما انقادت لك القلوب، متى سقطت من حالك وواردك، تقلبتْ عنك القلوب وداسَتْك الأقدام، وبقيتَ أسود الوجه،.

---

(١) أي: شط العرب، قرب البصرة.

الحسين عليه السلام[1] طلبتْ بشريتُه حقها الشرعي، الذي لا نزاع فيه، فغارَتْ الربوبية فرفعَتْ روحه إلى مقعدِ صدقٍ، فلما قرت الروح في مقامها حنت لقالبها المبارك: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنعام: ٤٥]، وتَحَكَّمَ سيف العدل في الأمرين، فكانت شهادة الإمام رفعة له، وكان ظفر أعداء الله خِزياً لهم، وإنما الغارة الإلَهية فعلت في بشرية الإمام ما فعلتْ، وكأنها تقول لها: طلبتَ قَوْد[2] الرقاب إليَّ، وأنا أريد قودك بالكلية إليَّ، فطلُبكَ إليَّ اضمحلَّ عند إرادتي إياك إليَّ، فبارَزَتْك إرادتي بأكفِّ مَنْ قطعتُهم عنِّي، فأذنيتُك بمن قطعتُهم عني، وعرَّفتُك أني أريدُ فأفعل، ويرادُ لي قبل تعلق إرادتي فلا أفعل، ولك ثواب الطلب، لأنك طلبتَ قَوْدَ الرقاب إليَّ لا إليك؛ ولو أنك طلبتَ قَوْدَ الرقاب إليك لما قُدْتُك إليَّ.

فإن مَنْ طَلَبَ قود[3] الرقاب إليه، بين خطر القهر والاستدراج، فإن

---

(١) هو سبطُ رسول الله ﷺ وريحانته السيد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، أمه: فاطمة الزهراء بنت محمد رسول الله ﷺ، قال عنه ﷺ: «الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة» استشهد رضي الله عنه في العاشر من محرم سنة ٦٤ هـ بكر بلاء من العراق، مجاهداً مقبلاً مع كثيرين من آل البيت في سبيل اعلاء كلمة الحق، وتصحيح الانحراف الذي مارسته الدولة الأموية في انتخاب الحاكم وطريقة الحكم، وقد خرج الحسين رضي الله عنه امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ...﴾ وهذا ما يوضِّحه حفيدُهُ السَّيد الرفاعي بأنه طالَبَ بحقٍ شرعي لا غاية شخصية له فيه، لكن الله تعالى أراد له المُقام الأعلىٰ والمكانة الأسمىٰ ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥] وأن يبقى حياً في جنات الخلد: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

(٢) هنا يقصد: قيادة الرقاب.

(٣) قيادة.

قهرته قهرته بأكف عباد وصلتهم بي، فقطعت الآخر بهم عني، وإن فتكتْ به وبنفسه ومراده عساكر: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢، والقلم: ٤٤]. فقد ضَلَّ».

أي سادة: طلب القَود إلى الله، قبل تعلق إرادته، جرَّأ أعداء الله على ابن وليِّ الله، وسِبْطِ رسول الله ﷺ، ومحبوب الله، وابن أحباب الله، الذي قام منار بشريته الكريم يدعو إلى الله، وطار طائر روحه النوراني إلى حضرة قدس الله، فكيف بمن يدعو إلى نفسه بنفسه؟ بشريته مقتولة، وروحه مبعودة، وحاله شاهد عليه.

الله، الله بالأدب مع الله، فإنَّ خَلْقَ الله حُجُبٌ وأبواب! فإن أدركتم سِرّ الأدب مع خَلْق الله، فتحتْ لكم أبواب القبول عند الله؛ وإن جهلتم أمر الأدب مع خلْق الله، حُجبتم بالخلق عن الله، ومن ثم اشتغل أهل العرفان والذوق الخالص بجبر[1] القلوب، ووضعوا الخدود على الطرقات تحت الأرجل، وطافت أرواحهم في حضرات القبول بهذه الأجنحة المعنوية، فعرفوا الحق بالخلق، ونزَّهوا الحق عن الخلق: «أنا عند المنكسرة قلوبهم لأجلي»[2] نصٌّ قدسيّ، يدلُّكم كيف يُعرف الحق بالخلق. ولهذا قال النبي ﷺ: «تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ الله، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي الله»[3].

وذلك الفكر المأمورون به، فكر الأدب مع الصانع في مصنوعاته جلَّ وعلا.

## [أخلاق الأنبياء]

أي سادة: عَالَمُ النبوة الأكبر الجامع لجميع العوالم، والأنبياء عليهم

---

(١) أي: سد مفاقر الخلق ومساعدتهم في أسباب معيشتهم.

(٢) انظر «المقاصد الحسنة» للسخاوي.

(٣) البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٨٣) بلفظ قريب.

الصلاة والسلام، خلفاء الله في الأرض على الحقيقة، وأصحاب الهمم السماوية؛ والقلوب العرشية، والأسرار الربانية، والانخلاع عن الأغيار بالكلية.

قادات الخلق إلى الحق، بين مراتبهم البدائية، ومراتب الصدِّيقين النهائية، ثلَثماية ألف وثمانية وستون ألف مرتبة، ليس للصديقين على مراتبهم من سبيل.

وبين مراتب النبيين ومرتبة سيد المخلوقين ﷺ، مراتب ودرجات في مرتبة محبوبيته، مراتب لا تُعَدُّ ولا تُحَدُّ، ولا تمر آونة إلاّ وله عليه الصلاة والسلام مرتبة تُرْفع، ودرجة تُنْصب، ومقام يدنو من الله، لا تحيط به الأسرار، ولا تُدرك كيفيته الأوهام والأفكار تتميماً للنعمة، وتكميلاً لشرف المحبة.

وبين مراتب الصدِّيقين البدائية، ومراتب الأولياء المقربين النهائية: ألف ومائة واثنتان وخمسون مرتبة، فُتح السبيل إليها للأولياء، ولكن لا يَصِلُون إلى مراتبهم النهائية أبداً!.

وإن للقطبية الجامعة: ثمانية وثمانين ألفاً وستة عشر مرتبة، كل مرتبة متوجهة إلى عالم من العَوالم، وكل مراتب أولياء العصر، بالنسبة إلى مرتبة القطب الجامع، واقفة في الأرض، ورتبته متسنمة[1] أبواب السموات، وبين مراتب الأولياء البدائية، ومراتب صلحاء الأمة، الذين لم يُحْسَبوا في عداد الأولياء، كما بين السماء والأرض، وبين مراتب الصلحاء وعامة الأمة الأحمدية، مرتبتان: التوبة، والعمل الصالح.

الرؤيا الصالحة، جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة[2]، تلك رؤياه ﷺ، فإن رسالته ثلاثة وعشرون سنة، فكان في ستة أشهر منها يوحى إليه

---

(١) متسنمة: متعالية إلى.

(٢) وذلك لحديث رسول الله ﷺ: «رؤيا المؤمن جزءٌ من ستةٍ وأربعين جُزْءاً من النبوة» [متفق عليه].

في الرؤيا، فإذا قسمتَ السنين الباقية إلى ستة أشهر أجزاء، علمتَ أن رؤياه عليه السلام جزء من نبوته عليه السلام والتحية، ومنزلة نبوّته الجلية مصونة المراتب يقظةً ومناماً.

وإنما الرؤيا وحيُ المؤمن بتنزل الملائكة، ولا يصح ذلك التنزل إلا لمن آمن بالله، وَذَكَرهُ، واستقام على ما يرضيه، فيكون ذلك التنزل الملكي عليه أمناً وبشرىٰ: ﴿الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا الله ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]. الآية، شاهد عدل، يدلُّ على ما ذكرناه.

أي سادة: حدوا المراتب، وإلا أخذَتْكم الخيل تحت السنابك[1]! لا يصل الوليُّ إلى غاية أحد من الصدِّيقين والصحابة، فإنهم نَهَضَتْهُمُ النظرةُ الطاهرة المحمَّدية، فأخذتهم إلى محبوبيته عليه الصلاة والسلام، فأحبوه وأحبهم: ﴿رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

فإذا أردتم القربى من الله، فتقربوا إلى الله بمحبته، والاقتداء بهم:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ الله فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال لنا فيهم رسول الله ﷺ: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمْ»[2].

أي أخي: قال لك أهل الحال: ربُّك يوجِدُكَ ثم يفنيك، ويبصرك ثم يغنيك، فيجلسك بلا أنت على بساط الاصطفاء للتعليم، ويقيمك مقام الأنس للتكليم، ثم يفنيك عما أبدى بظهوره بسِطوة الإجلال والتعظيم، ثم يلبسك خلعة التوقير والتكريم، ويُحظيك بملاحظة التكليم، فُيثبت فيك شاهد التوفيق والتصميم، ويقول لك: خذ ما آتيتك بقوّة التثبيت، بريئاً من

---

(١) السنا بك: أطراف حوافر الخيل.

(٢) تقدَّم تخريجه.

حولك البَشَريّ وقُوَّتك الآدمية، شاكراً للمِنَح الإلَهية والمواهب الربانية، داخلاً في كل أمورك تحت كنف الرضىٰ والتسليم: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

ذلك فَضْلُهُ لا كَسْبَكَ، وَجُودُهُ لا اجتهادك، واختصاصُه لا حرصك، وإلهامُه لا علمك، واصطناعُه لا استحقاقك.

## [لم يكن له كفوًا أحد]

تساوت طينة البشر من حيث الصُّورَ، وتباينت في التفضيل بما بدا عليها وظهر، فكلَّما ظهر عليها فبِقَدَر، فإذا انبلج الصبح من غيمه، وأسفَرَ وأشرق النور عليها فبهر، وامتد منها إلى سواها وانتشر سلطانه فقهر، وتمكن شاهده واستقر، وظهرت الإشارات والمعاني على الصور، فقد نفخ في الصور، ووضع الكتاب المسطور، وكان الغائب المحتجب هو الظاهر المشهود المنظور، حينئذٍ يُبَعْثَرُ ما في القبور، ويُحَصَّلُ ما في الصدور، ويزول الغرور، ويحظى المتقُّون بالحبور، وينال المحبوب غاية السرور.

إن وراء هذه الأسرار حقيقة إبصار، أكثر الخَلْق عنها عمّية، . لايدركها إلا من ظهرت له منه فيه، وتجلّت شواهدها منه عليه، وبرزت آثارها من كونه عليه:

﴿ذلِكَ مِنْ آيَاتِ الله، مَنْ يَهْدِ الله فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الكهف: ١٧].

والله يا هذا، ما ثَمَّ اتصال ولا انفصال، ولا حلول ولا انتقال ولا حركة ولا زوال، ولا مماسة ولا مجاورة، ولا محاذاة ولا مقابلة، ولا مساواة ولا مماثلة، ولا مجانسة ولا مشاكلة، ولا تجسّد ولا تصور ولا انفعال، ولا تَكَوُّنٌ ولا تَغَيُّرٌ، كل هذه نعوتُ حَدَثِكَ.

والحقُّ سبحانه من وراء نعوتك وصفاتك، إذ هي مبتدعاته ومخترعاته، فكيف يظهر بها أو فيها، أو عنها أو منها، وبه ظهرتْ لا بها ظهر، وهو

وراء الأشكال والمعاني والصور، وما بطن فيها ولا ظهر، ولا أُدرِكَ بالفكر ولا حُصِرَ في النظر، ونطاق النطق يضيق عن الافصاح بحقيقة الخبر، وإنما سومح في اللفظ لضروة تفهيم البشر، فكل صفة لا تعقلها إلا بالمقايسة إلى صفاتك، فإنما سيقت لضرورة تفهيمك بمعنىً ثبت عنك، موجوداً متحققاً من حيث طاقتك، لا من حيث حقيقة ما نُعِتَ لك نعتٌ من نعوته، تقدَّس عما دلَّت عليه ظواهر النعوت، وهو المنزه عن دلالة النعت الظاهر، من حيث دلت بنفسها على مقايسة وصف المحدَث، ولا تنفك في دلالتها عن ذلك، فله من النعوت والتعريف لإثبات ما يستحق، والذي يستحقه وراء إحاطة العلم، وحصر الفهم، وإحصاء العقل: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[طه: ١١٠]«لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ»(١).

## [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ]

يا قوم: إيش يُقال؟ إيش يتحدث؟ كَلَّتْ والله الألسن، وطاشت العقول، وذهلت الألباب، واحترقت القلوب، ولم يبق إلا الدهشة والحيرة! زدني فيك تحيراً.

يا هذا! إنما أفردت على ظاهر توحيدك مهادنة لك، ومسالمة لدخولك تحت قهر الدعوة، وبالمسالمة والتسليم دون المنازعة، قنع منك بالطاعة والدعوة، لئلا ترجع على عَقِبك، وترتد بعد إسلامك، ولهذا سُمِّيتَ مُسْلِماً، ولم يطلب منك حقيقة هذا، إذا لا طاقة لك به والله. ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ولا يُحَمِّلها فوق طاقتها، فما أفردت به من شهادة التوحيد: هو حظك من الإسلام الذي خرجت به عن جملة الجاحدين، وإن لم تثبت به في زمرة المؤمنين، فضلاً أن تصل به رتبة

---

(١) قطعة من حديث شريف رواه مسلم في الصلاة (٤٨٦)، والنسائي في افتتاح الصلاة (٢/ ٢٢٢)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٥٨).

العارفين، أو ترقىٰ إلى ذروة المكاشفين: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحُجُرات: ١٤].

الذي عندك من العلم بالإضافة إلى معرفة الأنبياء والصدِّيقين، كالذي عند الأنبياء، من العلم بالإضافة إلى علمِ مبديه عليهم؛ بل ربما كان علمك جزءاً من علمهم، وعلمهم ليس جزءاً من علمه.

ولا تظن أن أحداً حصل من التوحيد على حقيقة مدركة، إنما ذلك توحيد ذلك الشخص ـ أعني حظه من الكشف ـ متناه لا يحصُرُ ما لا يتناهىٰ، مُحْدَثُ لا يُدرك قديماً، إنما هي مواهب الكشف، لو ثبتوا من ذلك على حقيقة، لبلغوا إلى غاية الترقي من المطالب، ولم يكن بعد الغاية ترَقٍ، ولا بعد كمال المعرفة زيادة، ولو صح ذلك لما قيل لأكملهم علماً، وأعظمهم كشفاً، وأرقاهم منزلاً، وأعلاهم حالاً: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طة: ١١٤].

روي عنه ﷺ أنه قال: «كُلُّ يَوْمٍ لاَ أَزْدَادُ فِيهِ عِلْماً يُقَرِّبُنِي إِلَىٰ خَالِقِي، فَلاَ بَارَكَ الله فِي صُحْبَةِ ذٰلِكَ الْيَوْمِ»(١).

إذا كان مثل ذلك المحتشم، يطلب الزيادة وهو في درج الترقي، لا في منزل الوصول الغائي، ولو كان ثَمَّ غاية، لكانت نهاية، ولو تناهى لا نحصر، ولو انحصر لتجزأ؛ ولو تجزأ لفني، ولو حصره سواه لكان أعم منه، والحدَثُ لا يكون أعم من القِدَم، وكل هذه التقديرات مُسامحة لفظية، وتقديرات كلامية، وسوء عادات جدلية.

وإلاَّ فَمَنْ عنده خبر من ذوق الحقائق، يستغني عن هذه المسامحات اللفظية، بما عنده من الشواهد البرهانية، والبراهين القطعية، ويعلم بحقيقة حاله أن بضاعته العجز، وغايته القصور.

---

(١) السخاوي في «المقاصد الحسنة» من حديث عائشة. ضعيف.

ومَنْ يده في الماء إلى زنده، يعرف حرَّ الماء من بَرْده، فكلما ترجم عنه لسان، أو كشف عنه بيان، أو اشتمل عليه جَنَان، فنهايته محصورة؛ وغايته مدركة، حتى تصل الأمور بأربابها إلى العجز والتقصير، فيقول سيدهم: «لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[1].

ويقول الآخر: العجز عن درك الإدراك: إدراك، وهذا إشعار بعدم حاصل متحقق من جنس الشاهد، مع إثبات وجوده المنزه عما يقوم في الشاهد، لأن فيه كاف الخطاب للمخاطب، أي: عرفتُ وجودك، ولم أقدر على إحصاء صفاتك، ولا إدراك ذاتك، فمن ضرورة وجودي وجودك، لأني معلومك وأنت القائم بي؛ فلزمني الاعتراف بك من حيث لا يمكنني جحده، فناقصني تجلّيك فيَّ بي، من حيث ضرورة فقري إلَيك وفاقتي، وشاهد نقصي، ولزوم قصوري وعجزي، فطلبت صفات كمالك التي لا تتناهى بصفات نقصي المتناهية، فلم أطق لك قدراً، ونادتني سُبُحات جلالك من وراء سرادقات عظمتك: أيها المحْدَث المتناهي، ارجع إلى محل حدثك [قصرى] فلقد حاولتَ أمراً إمراً[2].

فعجب لي كيف أطلبُك وأنت معي؟! وكيف لا أشهدك وأنت عندي، أعجب منه كيف أعرفك ولستَ بمجانس لمعروف ولا مُشاكل[3] لمألوف؟ ولا متناهٍ فتحصر، ولا بجسد فتُتصور، ولا بذي صورة فتُبْصر، فمن أين تُعرف أو تُقدر؟ فلست بغائب فتطلب، ولا بحاضر فتدرك، ولا ظاهر فتنال، ولا باطن فتنكر وتحال، ولا مقيس فتتصور بمثال.

فَيَا غَائِباً حَاضِراً فِي الفُؤَادِ فَدَيْتُكَ مِنْ غَائِبٍ حَاضِرِ

أنت قريب من حيث ضرورة وجود الأشياء بك، فلا قريب منك، بعيد

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) إمراً: عجيباً.
(٣) مُشاكل: مُشابه.

من حيث لا مناسبة بينك وبينها، فلا أَبعد منك.

فَقُلْتُ لأَصْحَابِي: هِيَ الشَّمْسُ ضَوْؤُهَا قَـرِيـبٌ وَلكِـنْ فِـي تَنَـاوُلِهَـا بُعْـدُ

## [معنى النور والظلمة]

يا عجباً ـ كل العجب، ممَّن ينكر ما أقول، وبَاعُ[1] همته إِلى تناول الفهم لا يطول، وشمس عقله أبداً في أُفُول، أليس عنده من الشاهد ظاهر باطن، وباطن ظاهر؟ أَليس نور الشمس إِذا انتشر على مبسوط من الأرض ظهرت به الألوان والأشكال، وتبين به ما كان مخفياً، وبرز به ما كان محتجباً؟ فإِذا برزت صور الأشياء وأشكالها به، خفي على الناظرين وجوده لشدة ظهوره.

ولقد ظن قوم، ممن لا علم عندهم بحقائق الأشياء: أنْ ليس ثَمَّ مع الألوان والأَشكال شيء زائد عليها، وأَنها ظاهرة بذواتها، حتى هجم عليهم الظل بامتداده، وأَرخى الظلام سدوله، وجرَّ عليهم كَلاكِلَه[2]، فأدركوا تفرقة ضرورية بين النور والضوء، وعلموا بعد ذلك أنها لو كانت واضحة بذواتها لما جاز أن تخفىٰ وتُنشر، وتحققوا أن الموضِّح لها غيرها، وإِنما خفي لشدة ظهوره، واحتجب لإِشراق نوره، فقد بطن في ظهوره لشدة الظهور، وبعُد في قربة لإِفراط القرب؛ وظهر بذاته في بطونه.

وكيف لا يكون ظاهراً؟! وما ظهرت الألوان والأشكال إِلَّا به، وقرب في بعده عن الإِدراك، وكيف لا يكون قريباً وإِدراكه قبل إِدراك ما أُدرك به؟ واللبيب يعلم أنَّ نور الشمس هو الواضح في نفسه، الموضِّح لغيره، ويعلم أن الألوان والأَشكال بتجليه ظهرت، وبإِشراقه أشرقت، وهي مُظلمة في ذاتها، إِذ الأَجسام الصلبة الكثيفة، مُظلمة بطبعها وجِبِلَّتها، والنور مستعار

---

(١) الباع: قدر مَد اليدين.

(٢) أجزاؤه مُجتمعة.

لها من غيرها، وهذا ربما هزَّك لفهم قول النبي ﷺ: «إِنَّ الله خَلَقَ الخلْقَ فِي ظُلْمَةٍ، ثُمَّ رَشَّ عَلَيهِمْ مِنْ نُورِهِ».

فالظُّهور الحقيقي المُظهَر لا المظهر، فأول ما ثبت فيهم المعارف إلى المظهر لا إلى المظهَر. فربما غابت رؤية الأشكال والألوان عنه وقال: لا موجود إلاَّ النور، بخلاف اعتقاد الجاهل.

وهذا ربما هزك لفهم قول الخليل إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه عند رؤية: الكواكب، والشمس، والقمر: هذا ربي؟ هذا ربي؟ هذا ربي؟ ورقَّ وعَبر عن المفطور إلى الذي فطر، إلى قول الصدِّيق رضي الله عنه: «ما رأيت شيئاً حتى رأيت الله قبله» وإلى سر قوله عزّ وجلّ: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

والبليد بالضدِّ من ذلك، لا يرى غير الألوان والأشكال، ويقف معها، ولا يشهد مُظهرها! وهذا منكوس على رأسه، مُكِبٌّ على وجهه، مردود على عقِبه، لأنه ينظر بالضدِّ من نظر الأول، الذي شاهد عين الحقيقة، وربما هزَّك هذا لفهم قوله تعالى:

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المُلْك: ٢٢].

فإنْ ترقىٰ العامي الجاهل، والغُمْرُ الغافل، عن رتبة الوقوف، مع الصور والأشكال إلى النظر والاستدلال، أدرك التفرقة بين ما يظهر بذاته وبين ما يظهر بغيره عند حلول الحجاب، وظهور ضد الضياء من الظلام، وتجلّى له، وصرف الصور والأجسام، فقام عنده البرهان الحقيقي، والدليل القطعي على كونها مُظلمة لا ترى ذاتها ولا غيرها، وأنه لولا وجود شيء خارج عنها ـ هو المسمى نوراً ـ ما ظهرتْ للعيان، ولا تميزت منها الصور والألوان، والمقادير والأشكال، وذلك النّور غير حالّ فيها، ولا ناءٍ عنها، وإنما هو مُشرق عليها، مُظهر لها، كان حينئذٍ من أرباب

الإرادة، المحصور نظرهم في الآفاق المحدودة، والأقطار المحصورة، إذ لم يعرف النور لنفسه دون نسبته.

وربما هزك هذا لفهم قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. فهؤلاء في ثاني رتبة،.

فمن شهد الأشياء، بالنور، لا النور بالأشياءِ فهذا يترقى من أسفل إلى فوق، وذاك ينزل من فوق إلى أسفل، فذاك إلى النور ينظر، ثم نزل إلى ما بالنور ظهر من الأشكال والصور، واستحق أن يتقدَّم في التعليم والسر على أرباب الاستدلال، ليوضِّح لهم ما خفي عنهم واستتر، ولهذا سُمِّيَ الرسول ﷺ: ﴿ذِكْراً * رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُم آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ [الطلاق: ١٠ـ ١١].

ينبههم على كل موجود أنه من حيث ذاته عَدَمٌ كالأجسام التي هي بذواتها ظُلَم، وإنما بإشراق النور ظهرتْ.

كذلك عالَمُ الحَدَث بأسره ظُلْمة، خلق الخلق في ظلمة، وتجلَّى وجود المُحْدِث له فيه بإيجاده له نوراً، فلولا سَرَيان نور وجوده في العالم بأسره لم يظهر منه ظاهر، وذلك الذي ظهر من نوره بمنزلة الرش، لا بمنزلة القبض والاستتار، ثم رشَّ عليهم من نوره، فَمَنْ أصابه شيء من ذلك النور انتعش، ومن بقي في ظلمات طبعه وظِلّ قالب جسمه كان كالمنطلق:

﴿إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ [المرسلات: ٣٠ـ ٣١].

وشعب الجسم ثلاثة: الطول، والعرض، والعمق؛ نَعوذُ بالله من الرد إليه، والسجن فيه، إذ هو دنيا الإنسان، فإن ما ظهر للعيان من عالم الشهادة والملك فهي الدنيا، وما بطن من عالم الغيب والملكوت فهي الآخرة، التي يُرَدُّ العبد إليها بعد موته.

وأظهر الأشياء عند الإنسان جسمه، إذ هو أقرب أجسام العالَمِ إليه،

والأقرب هو الأدنى؛ وإنما سُمِّيت الدنيا دنيا: لدنُوِّها من العبد، فأقرب أحوال الإنسان إليه دنياه، وأبعد أحواله إليه أُخراه، لأنها قصوى، فتأخرت عن أن تنكشف له إلا بعد الموت، حين يقال له: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [قٓ: ٢٢].

ويقول هو: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [السجدة: ١٢]، ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧] فيقال له: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾ [قٓ: ٢٢].

فظاهر أحوالك مشاهدة دنياك الحقيقية، وأظهرها عندك ما تعلَّق بجوارحك من لذاتك الطبيعية، وشهواتك الحسية، فهي تحبسك عن السفر إلى الحضرة الربوبية، وتعقلك عن وطء الحضرة القدسية، إذ «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»[١]. الذي آمن وتحقق إنما يؤول إليه من النعيم المقيم، والمقام الكريم: أشرف مما يفارقه، وجنة الكافر الذي كفر عقله، (أي غطى وحجب عن ملاحظة جمال قدس اللاهوت الأكبر)[٢].

ولا يمكن الإنسان الاطلاع المجرد عن الشوائب وبينه وبين الأجسام المظلمة علاقة البتة، وأي لذة لمن هو في السجن؟! أو تصرفٍ أو كشفٍ؛ والقلوب الموقوفة مع ملاحظة الأجسام: عابدة الأصنام، والجسم دنيا، والإيمان صفة القلب، وهو المؤمن. فالدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر على الحقيقة. فالجسم سجن القلب الذي هو المؤمن، فمتى تخلَّص من علائقه، ونجا من آفاته وبوائقه، سَلِم من كل الآفات، ونجا من جميع المخافات، وخرج إلى النُّور من الظلمات: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

---

(١) مسلم في الزهد والرقاق (٢٩٥٦).

(٢) أشكّ أن تكون هذه العبارات مما قاله السيد الرفاعي، فليست من نسيج عباراته وكلماته التي عهدناها عنه. وربما كانت زيادة من النسَّاخ، ولعل الكلام يستقيم بحذف العبارة التي وضعتها بين قوسين().

[الشعراء : ٨٩].

وَمَا كُلُّ جِسْمٍ غَيْرَ سِجْنٍ لأَهْلِهِ ... وَآخِرُ آفَاتِ النُّفُوسِ وَفَاتُهَا
وَلَوْ عَلِمَ الإِنْسَانُ مَا الْمَوْتُ أَيْقَنَتْ ... نُفُوسُ الْوَرَىٰ أَنَّ الْمَمَاتَ حَيَاتُهَا

## [ظلمات بعضها فوق بعض]

فما أظلم هذا القالب على أَربابه؟ وما أحجبه للأنوار؟! فالواقف معه محصور في الأقطار، مسجون بين جدران المساحة والمقدار، بين الطول والعرض والعمق، وهي: ثلاث شعب مظلمة حاجبة حاصرة، أرضية ناسوتية(١)، ظلمانية من تلقائها.

ضَلَّ النصارى في التثليث، لأنهم لم يجاوزوا عالم الأجسام، ولا قسم لهم من ذلك الرش المذكور نصيب مع أرباب الأقسام؛ فلا جرم أنهم حُجبوا بظواهر الصور، واغتروا بظهور الآثر، وعموا عما بطن بما ظهر، كما عمي من قصر نظره على الألوان والأشكال دون النور الموضِّح لها النظر:

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٥ـ ١٧].

وإنما كان سبب حجبهم في الآخرة، قصور نظرهم في الدنيا: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢].

وإنما كان أضل سبيلاً لأن في الدنيا يُرجى له الإبصار لإمكان ذلك فيه، وفي الآخرة قد حصل على قِسْمِهِ؛ ووقف على حقيقة اسمه ﴿فَمِنْهُمْ

---

(١) الناسوت: أي الانساني، وهو اللفظ المقابل لكلمة «اللاهوت» أي: الالّه: وهي اصطلاحات فلسفية يونانية لا يمكن للإمام الرفاعي أن يتحدّث بها، فلكلٍّ علم اصطلاحاته، ولكل عالم عباراته وطريقته، وهذا ما كان يحذّر منه قبل صفحات بالبعد عن الفلسفة والهرطقة.

شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥]، فحقيقة اسمه الشقاوة لا السعادة، إذ قد سُدَّتْ عليه طرقِ الاستفادة، ولم يبق له في أحواله نقصان ولا زيادة، فهو بهذا الوجه أضلِ سبيلاً، وهو مستحق بما اتصف به، أن يكون في أضيق مكان وأقبح مقيلاً.

فنار الحسرة والخزي تلظّى في باطنه، بما حُرِمَهُ من روح المعرفة، ولِمَا فاته من سَعَةِ العِلْم، ولذة المشاهدة، بركونه إلى عالم الصُّورَ المجسّمة المظلمة! وعندها يستريح عند التهاب نيران الحسرة، وإن كانت لا تُظلّه ولا تُغنيه من لهب تلك النيران؛ بل تحصره وتمنعه عن الانطلاق إلى سعة العلم وفضائل المعرفة بشعَبهَا، ومن هذه النيران حُذِّر، وعليها نُبِّه وأنذر: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [الليل: ١٤، ١٦].

والتكذيب لا يكون إلا مع الحجاب، والتولّي لا يكون إلا مع الغفلة، فلو سمع المكذِّبون نداء الحق من بواطنهم، يدعوهم إلى الإيمان بما كذّبوا به، لآمنوا كما آمن الناس الذين يقولون: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣].

وذلك النداء لا يزول من قلب كل مؤمن موحِّدٍ بالله ورسوله، فلو عقلوا حقيقته لسَمِعوا، ولكن جهلوا وأنكروا.

فإذا كُشِفَ الغطاء يوم القيامة، وأُحرقوا بسعير الحسرة والندامة، علموا حقيقة الدرجة لذلك الصدر المحتشم في قول الله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

فإذا تحققوا ما السماع وما الإبصار؟ وإنه يُستغنىٰ فيه عن القوالب الجسمانية من الأصمخة والأبصار: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [المُلْك: ١٠].

ولا يُعذرون لعدم السمع والإبصار في هذه الدار، فإن اعتذروا به، كان

من أشر الأعذار، وكيف يُقبل منهم العذر، وقد تقدَّم إليهم بالإِعذار والإِنذار؟! أرسل إليهم لو قبلوا من يُخرجهم من الظلمات إلى الأنوار.

فكل الأنبياء أُنزلوا من رتبهم إلى مخاطبة الجهال والكفار، وخصصت هذه الأمة بنبيهم المختار المنبِّىء بمناهج الأبرار، والمُحذِّر من طرق الأشرار، والمظهر بواطن الأسرار:

﴿قَدْ أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً * رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الطلاق: ١٠-١١]. من ظلمات الوقوف مع تقليد الآباء الضالِّين، والمعلمين المبتدعين، حين قال الناس: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

قال الله تعالى: يا محمد ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ [الزخرف: ٢٤].

وعلى ماذا وجدوا آباءهم؟ قوم على عبادة الأصنام المظلمة الجسمانية الكثيفة، العارية من جميع معاني الحيوانية(١)، وقوم على عبادة المسيح قد وقفوا مع ما أبدى على يديه، ونظروا بعين الربوبية إليه؛ فلم يعرفوا منه غير ناسوته(٢) المسخَّر في الحركة، إظهار ما يُلقي روحُ القدس إلى باطنه من الوحي الإلَهي، والإِلهام الرباني، لتظهر القدرة الإِلَهية على يديه، وتبرز العجائبُ المعجزة الروحانية الخارجية عن المألوفات العادية، والمدركات بالعلل الطبيعية، والمنفعلات بالخاصية الإلَهية، وذلك بكلمة الله له، وهي الكلمة التامة: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً﴾ [الأنعام: ١١٥].

والكلمة ظهر بها ما ظهر، فبالكلمة أُمد، وبروح القدس أُيِّد، ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [المائدة: ١١٠].

---

(١) أي: معاني الحياة.

(٢) أي: انسانيّته.

# [عيسى المسيح انسان]

كان المسيح وأفعاله، وهي كلمة الله التي أُلْقِيَتْ إلى مريم؛ فهو الكلمة، وبالكلمة كان، وعلى يديه ظهرت الكلمة، بقوله للشيء: كن، فيكون، لأنه كان يعطي الأشياء قوة روحانية، لا من ناسوته؛ بل من تأييد الروح، وإلقاء الأمر إلى المكوّنات، فهي المسمى:

﴿فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ﴾ [آل عمران: ٤٩] لأن السر الأول من الله، وإلى الله، وبالله ولله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحِجْر: ٢٩، صَ: ٧٢].

فذاك نفخ ابتداء بلا واسطة، وهو إعطاء أصل النوع الإِنساني ـ وهو الإنسان الكلي(١) ـ قوة قامت من وجوده، وصدرت عن جنابه، بما ظهرت عليه آثار ربوبيته وشواهد لاهوتيته، فَعَلَّم بها كل المعلومات، وأَظهر بها كل المبتدعات(٢).

وتلك القوة التي نُفختْ في آدم، سارية في ذريته، جارية بالديمومية إلى الأبد، بها يظهر على تصاريف الحدثان، وتغير الجديدان، ما يظهر من

---

(١) يؤكد هذا الاصطلاح الفلسفي أن هذا النص ليس من مقولات الإمام أحمد الرفاعي، فهو بعيد بأفكاره واصطلاحاته ومواعظه عن كل هذه الموضوعات وما تحويه، وما يقْربُ منها، فهي يونانية غنوصية مبدؤها سقراط وأفلاطون وأرسطو، ثم أخذتْ منحىً شبهَ اسلامي بعد ترجمتها إلى اللغة العربية، وحاول الفلاسفة العرب أمثال ابن سينا، والفارابي وغيرهما تلقيح الفكر الاسلامي بها، ولكن غاب عنهم أن الفكر الإسلامي فكرٌ ربّاني مُتَمَيِّز ومتفرِّد لا يمكن أن يُنسَبَ إلى غيره، أو يُنسب إليه غيره، وليس بحاجة إلى تلقيح أو ترقيع أو تصليح. وهذا ما نهى عنه الإمام الرفاعي في أول الكتاب.

(٢) هذا النص مُقحم هنا لإثبات الفكر المؤدي إلى نظرية «وحدة الوجود» التي هاجمها المؤلف في بداية الكتاب، وأطلق عليها اسم «الوحدة».

الصناعات المخترعات، والعلوم المصنفات، والجزئيات والكليات، وذلك كله أثر النفخة التي أعطتْ آدمَ قوة اطَّلع بها على الأرض والسماء، وأشرف بها على كل الأشياء، وهي مبثوثة في ذريته كلها، باقية في عقبه[1]. أخذ الأنبياء عليهم السلام منها بأوفى حظ ونصيب، وظهرت على أيديهم العلوم والحكم والأعاجيب، التي كانت بمجرد القوة التي هي من النفخة، لا بعلل طبيعية، وفعل بالخاصية، وتلك فوائد الأزل، وكل يظهر على يديه بقدر نصيبه من الرش والنفخة لا زائد على ذلك، وهو القسم الأزلي، ولكن نال كل عبد بقدر ما تَرَشَّحَ لقبوله بالتهيؤ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].[2]

ولا يستكمل الخلق الذي جعل لهم فيه نصيب نصيبهم من ذلك، حتى يصلوا إلى غاية تقارب الكمال؛ وهي كمالهم اللائق بهم، إلاَّ في الدار الآخرة في الجنة، حين يقولون للشيء على الإطلاق: كن، فيكون.

فعيسى ـ عليه السلام ـ نبيٌ من جملة مَنْ قُسِمَ له أوفر نصيب، على قدره بالإضافة إلى وقته، فكان يفعل بالإذن، لا بذاته، لأنه مفعول فيه، فالله تعالى ينفخ من رُوحِ القُدُس، وهو ينفخ في الأشياء: بروح القُدُس، لموضع التأييد بها، لا من ذاته ولا من عنده.

فأبداً يوقف فعله على الإذن، لأنه مؤيَّد بالروح، فلو اطلعوا على ما وراء ظاهر القدرة من باطن الحكمة، لأشرق عليهم من نور الإمداد؛ ونَفَحَتْهم نفحة من نسيم التأييد، فأخذوا حظهم من النفحة، كما أخذ الحواريون عليهم السلام: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ الله انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة:

---

(١) قال الله تعالى: ﴿ولا يُحيطون بشيءٍ من عِلْمه إلا بما شاء﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(٢) هذا الكلام يحتاج لشرح وبيان ومن ثمَّ التعليق عليه ومناقشته وسأفرده بكتاب بإذن الله، ولكن يمكن الاطلاع على تحقيقي لكتاب «مشكاة الأنوار» للإمام الغزالي، فقد يُفيد إلى حَدٍ ما.

٤٦]، فبقوا: صُمّاً، بكماً، عُمْياً. ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ الله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣، الزمر: ٣٦، غافر: ٣٣].

﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

## [النبوة والإيمان بها]

وقوم موقوفون مع عبادة العُزَيْر من اليهود، محجوبون بنوع مما حُجب به النصارى، وكل ذلك ظلمة.

وقوم من اليهود يوحّدون ولا يعبدون عُزيراً بزعمهم، ويشهدون بنبوة موسى عليه السلام تقليداً وسماعاً، لا كشفاً واستبصاراً، وهم محجوبون بظلمات التقليد، والوقوف مع أقوال الرجال دون مشاهدتهم الحق بعين اليقين، فلو أنهم شاهدوا الحق وعرفوه، لعرفوا أهله، إذ الرجال يُعرفون بالحقّ، لا الحق يُعْرَفُ بالرجال.

ولو تحققوا: ما النبوة؟ وما الرسالة؟ وما الإيمان؟ وكانوا قد عرفوا موسىٰ بعد معرفة حقيقة النبوة، لا النبوة بعد معرفة موسىٰ، لما أنكروا نبوّة محمد ﷺ، ولأبصروه كما أبصروا موسى عليه السلام، لأنهم عرفوا الحق فعرفوا أهله، ولكن كانوا واقفين مع ما سمعوا من أخباره، وثبت عندهم من ظهور القدرة على يديه، وبروز الآيات العجيبة مقارنة لتحدّيه، فحُجبوا بظلمات الصور المظلمة المجسمة، وهي صور المعجزات، فظنوا أن ذلك من قدرة موسى ـ عليه السلام ـ وقوته وحَوْله، ولم يعلموا أن الذي أبدى القدرة على يدي موسى، هو الذي أبداها على يدي محمد ﷺ، وأن الإلّه واحد، والدين واحد، والأنبياء واحد(١)، ودعوتهم واحدة، والقدرة

---

(١) البدايات والنتائج في هاتين الصفحتين مما ينأى عن فكر الإمام الرفاعي، وخاصة عبارة «والأنبياء واحد» فقد انطلق ناسخ الكتاب من فكرةٍ لم يأتِ عليها بدليل، ثم بنى عليها واستنتج واستخرج، بطرق لا تلتقي مع القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف إلا من حيث هو يريد.

ظهرتْ على أيديهم، وأشارت إليهم؛ .

وكل من ظهرت القدرة على يديه مع التحدي، فهو صاحب الوقت ونبيُّ الأمة، وهو المُحِقُّ على الجملة، فما اختلفوا إلاَّ من حيث الأشخاص والهياكل، لا من حيث المعاني والحقائق:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

فلا تفرقة بينهم البتة، والعزيز المقتدر واحد، أظهر القدرة على أشباحٍ متفرِّقة، وهياكل متباينة، وهو واحد في ذاته، غير متحيزٌ ولا منقسم، ولا حالٌ ولا متَّحد.

ولكن تجلَّى لعباده بأفعاله وقدرته، وجعل إليه طُرُقاً، وللطرق أدِلاَّء، ولكل دليل آية مخصوصة، ولكل طريق باب مخصوص، وحجاب مضروب: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١].

وثَمَّ في الطرق حدود مضروبة، وأعلام منصوبة، لا يمكن عبورها إلا بإذن، فمن كان مأذوناً له في تجاوز الحد المضروب إلى ما وراءه، فُتِحَ له الباب وأُدخل، والدخول لا يكون إلا مع الشرح، والشرح سُئل عنه رسول الله ﷺ فقال: «هُوَ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللهُ فِي الْقَلْبِ»، قيل: يا رسول الله، ما علامته؟ فقال: «التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالإِنَابَةِ إِلَىٰ الْخُلُودِ، وَالاسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ قَبْلَ حُلُولِ الْمَوْتِ»(١).

وبالشرح النوراني تنفتح أبواب القلوب، والرحمة باب من أبواب الله

---

(١) انظر تفسيره «الدر المنثور» للإمام السيوطي.

سبحانه، يفتحها على قلب من يشاء: ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [الآية، فاطر: ٢] الآية والنبيّ ﷺ رحمة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٧].

وكما انفتحت أبواب السماء بالرحمة، التي هي المطر، انفتحت أبواب الوحي للنبي ﷺ، الذي هو رحمة للعالمين، وباب لدخول المتقين؛ فكلما ظهرت من القدرة على ظاهر حجاب عن المظهر، فمن جاوزه إلى ما وراءه من الأسرار، كان من المكاشفين بعلم الملكوت[١] المتنزهين في بحبوحة القُدس[٢]:

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠ـ ١١].

وإلى إرث الفردوس: دعا مصباح الوجود، وسراج الكونين ﷺ، وجاء بما لم يأتِ به سواه من الأسرار العجيبة، والمعاني الغريبة، واللغة الفصيحة، والاستعارات الصحيحة الشريفة، والتمثيلات المطابقة، والإشارات الموافقة، والرموز الغامضة، والكشوف الواضحة، والأحكام الكاملة، والسياسات الشاملة، والآداب الجامعة، والأخلاق الطاهرة.

فمن كان بصيراً، نظر إلى جمال باطن الصورة المحمدية الروحانية، ورأى انبساط أنوارها على صفحات الآلاء الناسوتية الجسمانية بالسَّمْت والوقار، والهيبة والسكينة والإطراق، والتبسُّم والبِشْر؛ وشاهد هذه النعوت الباطنة والظاهرة كلها، لمظهرها لا بها، ليخرج من حيز الذين وقفوا مع ظاهر الإبداء، وحُجبوا به عن المبدىء، ويعلم أن الرسول ﷺ متول في معناه وصورته، وحركاته وسكناته، لا منه في شيء، وأنه محوٌ[٣] من أثبته

---

(١) الملكوت: عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس.

(٢) المقدس: كلمة تُقال للتنزيه.

(٣) المحو: رفع أوصاف العادة وفي نسخة «محور».

لقيام المتولي له به، ألا ترى كيف يقول له:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

فبرأه من فعله في فعله، لئلا يُحال شيء على حركة الناسوت المسخَّر، أو يضاف فعل إلى الجسم المقدَّر المصوَّر، أو يثبت تصرف للمتولي المدبر.

فإذا نظر الناظر إليه بعين التصريف، لا بعين التصرف، وعلم حقيقة البادي والمبدى عليه، وأنزل كل شيء في منزلته، وضح له الحق الصريح، من غير حمحمة ولا تلويح، وميز السقيم من الصحيح، واهتدى بهدي الله، لا بهدي البشر، وكان من المطَّلعين على سرِّ القدر، المتنزهين عن التقليد الذي هو مظنة الغرر: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ؟﴾ [الزخرف: ٢٤]. من التمثيل بظواهر الأثر، والامتناع من العيان بالخبر، وذاك هو نقلك بالحكمة والموعظة الحسنة، إلى معرفة الحق، ليعرفوا به أهله، ويعلموا أن المقلد لما يألف بغير هدى من الله، تابع هواه وجهله، وهدى الله عزَّ وجلَّ هو ما كشف لك عن حقائق الأمور، وهو الذي ينكتب بقلم العقل على ألواح الصدور:

﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمِ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فمن أُيِّدَ بالروح، عرف المؤيد بالروح، وعلم أن عيسى أُيِّد بروح القدس، وأن محمّداً ﷺ أنزل عليه القرآن «روح»، مَنْ علم بهذا وذاقه كان من المؤيّدين الذين يؤمنون بالكتب كلها، وفيهم قيل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ، وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٤ـ ٥].

هُدى الله هو الهدى، وليس بعده إلا اتباع الأهواء: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ ـ اللدني[1] والكشف الإلهي ـ ﴿إِنَّكَ

---

(١) العلم اللدني: هو العلم من عند الله تعالى من غير كسب أو تعلُّم، كما وصف =

إذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

الذين أنزلوا النفس عن رتبة الكشف، إلى رتبة موافقة أرباب الأهواء، الذين هم في ظلمات آرائهم الملطخة بأوضار[١] الطبيعة، المحجوبة في ظلمات الحس؛ ومن كثَّرَ سواد قوام فهو منهم، وحُشِرَ معهم، ومن وافق قوماً كان منهم، فماذا بعد الحق إلاَّ الضلال؟! وبعد الكشف إلا الحجاب؟!

﴿فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [النجم: ٢٩_ ٣٠].

## [الدنيا والآخرة][٢]

وقد علمتَ أن الحياة الدنيا، مشغلة عن الحياة القُصوى، وأن المُعْرِضَ عن الاستعداد للحياة الحقيقه، نادم بعد مفارقة الحياة الدنيا، مُحرق بنار جهنم فيتذكر حين لا تنفعه الذكرى، فـ:

﴿يَقُولَ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لاَ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢٤_ ٢٦]، حتى يعلم أن الدار الآخرة هي الحيوان، فلو كان يعلم لكانت الدار الآخرة دار حياته، إذ هي حياة العلماء، ولهذا اشترط: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٣] [العنكبوت: ٦٤].

فتقدير الكلام: لو كانوا يعلمون لكانت الآخرة دار الحيوان في حقِّهم، ولكن جهلهم حجبهم، وإلى ظلمات الصُّوَر أدخلهم، وفي سجن الجسم

---

= الله تعالى الرجل الصالح في سورة الكهف: ﴿وعلَّمناهُ مِنْ لدُنَّا عِلْماً﴾.

(١) أوضار = أوساخ، من الوَضر: وهو وسخ الدسم واللبن، وغُسالة القصعة.

(٢) من هنا يعود الكلام يوافق ما عرفناه عن ومن الإمام الرفاعي.

(٣) قال الله تعالى. ﴿وَمَا هذِهِ الحياةُ الدُّنيا إلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وإِنَّ الدَّارَ الآخِرةَ لَهِيَ الحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلمونَ﴾.

المحصور بثلاثة أبعاد[1] سجنهم، فإليه يرد، وفيه يعذب، فلا بد من حشرها، وذلك هو الذي ذكره الشارع من حشر الأجساد، ورد الأرواح إليها عند من وفقه الله سبحانه إلى الإيمان بذلك، وشرح صدره لقبول تصديقه بإعلامه، أن ما جاز ابتداؤه لا يستحيل إعادته، فالمنتزع أهون في الشاهد من المخترع: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩].

## [القرآن الكريم وحجب معرفته]

ولا يُحجبُ عن معرفة الله سبحانه، ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، إلا من استحوذ عليه شيطانه وهواه، فأضلَّه عن الحق وأغواه، حتى مقته الحق سبحانه وأخزاه، وجعل الخلود في النار جزاءه: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً﴾ [النساء: ١٣٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٣]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، فأصبحوا: صُمّاً، بكماً، بكماً، عمياً، فهم لا يعلمون.

وكيف يتدبر القرآن من لا يدري حقيقة القرآن؟ ولا إنزال القرآن، ولا مُنَزِّل القرآن، ولا المُنَزَّلُ عليه القرآن؟!.

والقرآن هو البحر المحيط، وعلى سواحله العود والعنبر، وجميع أصناف الطيب، وأنواع المعادن تلقىٰ في وسطه في الجزائر، وله: ظهر، وبطن، وحدٌّ، ومطلع؛ وهذه أربعة أركان بُنِيَ عليها فهم القرآن[2]:

---

(١) الأبعاد الثلاثة: الطول والعرض والعمق، وأضافوا في القرن العشرين: البعد الرابع، وهو الزمن، وهنا هو حياة الانسان.

(٢) يتأثر المؤمنون بهذا الكلام بحديث رواه عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «أُنزل القرآن على سبعةِ أحرفٍ لكلِّ حرف منها: ظهرٌ وبطنٌ، ولكُلِّ حرفٍ حدٌّ، ولكل حدّ مطلع» [السيوطي في الجامع الصغير ٧/ ٢٧٢ عن الطبراني في «معجمه الكبير» وحَسّنه، كما ذكره الهيثمي في زوائده على ابن حبان ٧/ ١٥٢، =

فالظاهر: هو التنزيل: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

والباطن: هو التأويل، كما قال ﷺ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»(١).

والحد: هو الذي يتوقف عنده، وهو الذي يفصل بين التشبيه والتعطيل.

والمطلع: هو موضع إشراف المكاشفين على حقائق ما أريد به بإلهام الملك، وفطنة الروح، ولا يشهد معانية، ولا يطّلع على حقائقه إلا مَنْ كان له كشف ومشاهدة، وقلب سالم مُسَلِّم وأسلم: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [قٓ: ٣٧].

١ـ فأول المراتب: معرفة التنزيل.

٢ـ الثاني: معرفة التأويل، والتنزيل ينبغي أن يكون أمراً كما جاء، لا يُحَرَّف ولا يُبَدَّل، لأنه أساس التأويل، والتأويل منزل على التنزيل، لا يُخرج به عن مطابقة التنزيل، فلا يُعدل بمعانية إلى التعطيل، ولا يحاد به

---

= ١٥٣] وظهره: الظاهر في التلاوة، وبطنه: ما بطن من تأويله، والحدُّ: من حدود الله التي حدَّها من حلال وحرام وشرائع، ومقادير الثواب والعقاب، مطّلع: ما يطلع عليه الإنسان ويلاقيه يوم القيامة، وفي «النهاية عن ابن الأثير: أي لكلِّ حدٌّ مصعد يصعد إليه من معرفة علمه، والمطّلعَ: مكان الإطلاع من موضعٍ عالٍ. أهـ. ومن أقوال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لو أن لي ما في الأرض من صفراء وبيضاء لا فتديتُ به هول المطّلع» أي: هول القيامة بعد الموت [تفسير الطبري ٢٢، ٢٣، ٧٢].

(١) البخاري (١/٢١٤، ١/١٥٥، ١٣/٢٠٨)، ومسلم (٢٤٧٧)، ومسند أحمد (١/٢٦٦، ٣١٤، ٣٣٥).

عن موافقة طريق السُّنَّة الواردة عن سيد المرسلين ﷺ.

٣ـ والرتبة الثالثة: وهي الوسطى، وهي الحد المانع الجامع، يجمع بين ظاهر التزيل، وباطن التأويل، ويمنع من التشبيه والتعطيل.

٤ـ والرتبة الرابعة: هي الاطلاع عليه بالنور المبين، الذي لا يوجد إلا عند المتقين، وهو تعليم العزيز الرحيم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ من رَحْمَتِهِ ويَجْعلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: ٢٨].

﴿وَاتَّقُوا الله وَيُعَلِّمُكُمُ الله﴾ [البقرة: ٢٨٢]. فالله سبحانه معلم الفهم، والرسول معلم الحُكم والحكمة، ويطلع على معالم الفهم، ويوصل إلى مقام الاطلاع بإرشاده، إذ هو واسطة بين العباد وبين ربهم: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمِكُم مَا لمْ تكُونُوا تَعلَمُون﴾ [البقرة: ١٥١].

فالرسول هاد بالواسطة، لا بالتأصيل: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

والله تعالى هو الهادي: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ الله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وكذلك هو معلم الدلالة؛ والله سبحانه معلم الأصالة:

﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١] ﴿عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥] ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾ [الكهف: ٦٥] ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٣ـ ٤].

فرق بين العلم والخلق، فَدَلَّ على أن علم الله سبحانه وهو صفته غير مخلوقة، كتبه بقلم العقل على ألواح الصدور: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

فالعقل مُستمد من العلم الأزلي، وهو القرآن الذي أُلقي إلى محمد ﷺ، حصل للرسول ﷺ بتعليم جبريل، وتعليم جبريل هو تعليم الله عزَّ وجلَّ، وتعليم الرسول ﷺ هو تعليم جبريل.

فإذا كان تعليم الرسول ﷺ هو تعليم الله سبحانه، فالله سبحانه يُعَلِّمُ الملائكة بلا واسطة، والملائكة وسائط بين الرسل وبين الله سبحانه، والرسل وسائط بيننا وبين الملائكة، والله سبحانه معلِّمُ الكل، وهادٍ للكُلِّ. والمبيِّن للكل، وإن كان الرسول ﷺ مبيِّناً، فهو في التبيين كما هو في البداية شيخ[1]، أُقيم لتعريف الخلق ما نَدَبَهم إليه الحق، وله ولاية الظاهر بالحكم؛ ولله سبحانه ولاية الباطن بالتولي، ليبين للناس ما نزل إليهم: ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٦].

فما من شيءٍ أضيف إلى الرسول ﷺ ظاهراً في حالٍ من الأحوال لإثباتِ الأحكام، إلاَّ وقد أُلقي باطناً لإثبات التوحيد، حتى لا يقف أحد مع ظاهر ما أبدي إلى محمَّد ﷺ دون النظر إلى الإبداء، ومعرفة جَرَيانه على ظاهر محمد ﷺ من المُبدى عليه؛ وهو الذي يرد الأمر في الإفراد والإصدار إليه:

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]. فهو محل التلقي، لا هو المُلقي، ولا إليه الإلقاء.

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ [القصص: ٨٦].

وليت شعري، إيش الكتاب من الكتابة؟ سوى أنه متصف من حيث

---

(١) أي: مُرشد: بشير ونذير، وأرى أن اصطلاح «شيخ» لا يصح أن يطلق على النبي ﷺ لكونه ﷺ أعم وأشمل وأعظم بنبوّته ورسالته.

كان محلاً قابلاً لها، لا من حيث أنها لم تزل فيه ولا هي صفته، وإنما هي صفة الكاتب، بَدَتْ في الكتابة لا من الكتاب، وإليه تعود في الوصف لا إلى الكتاب، فهي صفة الكاتب لا صفة المكتوب؛.

فذلك قلب محمد ﷺ، كتاب كتب الله فيه القرآن، كما يكتب الكاتب في اللوح، وإن كانت الكتابة في الشاهد تنكتب بواسطة العلم في اللوح، والقرآن انكتب بواسطة جبريل في لوح ـ قلب محمد ﷺ، وكان بمنزلة القلم، والمكتوب قديم، وهو الكلام الأزلي، والكاتب والمكتوب فيه مخلوقان كاللوح والقلم، فإنَّ قلب محمد ﷺ مخلوق، وجبريل عليه السلام مخلوق، وما كتبه الله عزَّ وجلَّ بواسطة جبريل قديم، فالقرآن إذاً قديم، وهو علمُ الله، ولا يبعد أن يكتب في قلوب العباد على سبيل الحفظ والعلم، لا على سبيل الحلول والانتقال؛ لأن الله سبحانه هو الحافظ له، لا العبد: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحِجر: ٩].

ويروى: أنه لما خلق الله سبحانه وتعالى «القلم» قال له: «أكتب قال: ما أكتب؟ قال: أكتب علمي في خلقي»[١].

وعِلمُ الله مكتوب في خلقه، والإيمان مكتوب: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩] ولا تسأل عن كيفية هذه الكتابة؟ وكيف ارتسامها في الصدور؟ فإن ذلك يستدعي فتح باب كبير من أبواب الملكوت، فإن الكتابة تستدعي لوحاً ومداداً، وقلماً وأصابع ويداً، وقدرة وإرادة، وعلماً وكاتباً، وذلك من علوم المكاشفة، إذ علم ذلك نهاية الأولياء، ومبادىء الأنبياء عليهم السلام.

فإن النبيَّ ﷺ، أول ما كوشف بسرِّ القلم حين رأى جبريل في صورته

---

(١) لم أجده في كتب الأحاديث الصحيحة.

أَول مرة وغَطَّه، وقال: اقْرَأْ. فقال: مَا أَنَا بِقَارِئٍ[1]، الحديث المعروف.

أول ما كوشف من الوحي بمعرفة الكتابة والقلم والتعليم، وخَلْق الإنسان، وهذا مجمع العلم وخزانة الأسرار، وهذا أصلٌ لما وراءه، فقال: اقْرَأْ. قال: وما أقرأ؟ قال:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ـ ٥].

فإن كنتَ من أرباب البصائر، ففي متفرق كلامنا: ما يدُلك على معانية، فإن الكلام لم يخل من إشارة إليه، وتنبيه عليه، ومعرفته لا تحتمل التصريح، فإن خوض غمرات أسراره خطير، وفتح باب الأسرار عزيز، وإفهام الخلق ما لم يألفوا مسالكه من الأسرار عسير، وبحره عميق، يغرق فيه أكثر الجماهير، إلاَّ من تولَّىٰ الله عزَّ وجلَّ أمْرَه، وهو يتولَّى الصالحين، والهداية إلى الله سبحانه كما علمت، فلا تطلبها إلاَّ من بابها: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ * وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَىٰ﴾ [الليل: ١٢ـ ١٣].

وإن كنتَ من المحجوبين بظلمات الجسمية، المقيَّدين بقيود العادة، والموقوفين مع تقليد الآباء والمعلمين، الذين لم يستضيئوا بنور اليقين، فلا تعرف قط لوحاً إلاَّ من خشب، ولا قلماً إلاَّ من قصب، ولا يداً إلاَّ من لحم وعصب، ولا كاتباً إلاَّ جسماً مُصَوَّراً، فلا تطمع في فهم شيء مما أشرنا إليه، فإنك لست من أهله، إذ قد سلكت مذهب المحجوبين، الذين غلبت عليهم ظلمة الأجسام، فلم يعرفوا غير الأجسام وتوابع الأجسام، ودخلت تحتَ ظل الجسم ذي الأبعاد الثلاثة، وهي الطول، والعرض، والسمك، فهي ثلاث شعب مظلمة، لأنك حصرتَ جميع المعلومات تحت الحسِّ، وأنكرت ما وراء الشاهد، مما لا يدخل تحت الكمية

(١) الحديث رواه البخاري في بدء الوحي(١).

والمقدار، ولا ينقسم بالمساحات والأقطار، وهو العالم المتسع، الذي الأجسام منه بمنزلة الظل من الشخص، فهو العالم الشريف الذي من تلقائه يتنزل الأمر والقدر.

## [دعوة إلى الانتباه]

فانتبه أيها المغرور: بظواهر الصُّوَر، فإنك من الله سبحانه على غرر، وما انطلقت إليه وولَّيت نحوه من ظاهر التشبيه والتجسيم يوم يستظل بمته من عذاب الله سبحانه، إذا سألك عن معتقدك لايظلك من عذابه، ولا ينجيك من لهب ناره، إذ قد عطلت ملكوت الله سبحانه، واستعجزت قدرة الله عزَّ وجلَّ، وجهلتَ حكمة الله، ولم تتدبر آيات الله؛ بل اتخذتها هزؤاً، ولم تؤمن بالغيب؛ بل كذبتَ بما لم تحط بعلمه، وأوقفتَ حقائق الأشياء على علمك الناقص، وتخيلك الفاسد:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ، كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [يونس: ٣٩].

وأنتَ محجوب بالأجسام عن مُبدع الأجسام، كما حجب الذين أنكروا عند رؤية الأجسام وجود شيء زائد على الأجسام، به ظهرت الأجسام، وتجلَّتْ الألوان والأشكال، لأنهم لم يُحيطوا بعلم النور، ولا تحققوا أنه اختفى في الأجسام لشدة ظهوره فيها، واحتجب عن أعين الناظرين لإشراق أنواره عليها.

ولكن أيها المسكين: أفلا ينظرون إلى التفرقة، بين النور المظهر والجسم المظهر، عند مفارقة النور للمبصرات حين بقيَتْ مظلمة لا تظهر، فلا أمكنهم الجحود، ولا وسعهم التكذيب، كذلك أنت!.

## [الروح]

إيش تقول في الروح؟ إنها هي الجسم بعينه؟ أو شيء يزيد على الجسم، بها تدبيره وتصريفه؟ وما أظن أنه يسعك إنكار كونها غير الجسم،

وإنها مدبرة الجسم، وغير الجسم لا يكون جسماً.

فإن قلت: هي جسم ألطف من هذا، مستودعة في باطن هذا الجسم، جعلتَ الأجسام تتداخل وقلتَ: بالحلول وأبطلت فائدة التفرقة بين الروح والجسم! وكذّبْتَ الخبر الصحيح «إِنَّ اللهَ خَلَقَ الأَرْوَاحَ قَبْلَ الأَجْسَامِ بِأَلْفَيْ عَامٍ»[1].

وأي فائدة من هذا الحديث إذا كانت الأرواح أجساماً؟ ويكون إثبات ما تدعيه إلى استحالة الحديث، وتناقض قول الصادق؟ فكأنه يقول: خلق الله الأجسام قبل خلقها بألفي عام؛ والشيءُ الذي يُخلق قبل خلقه لا يعقل! لأن الأجسام إن كانت تسمى أرواحاً فمعنى الحديث: هذا خلق الأجسام قبل الأجسام، وهو خل الشيء قبل ذاته! وهذا خَرقٌ من قائله، وفسادٌ من مصورِه، فلا بدّ أن يكون للخبر معنى يُدرك، وفائدة تُعقل، والحاصل منه التفرقة بين الأرواح والأجسام، فالروح إذاً لا جسم بشهادة الشرع، وإذا كان الجسم هو الملتئم من جوهرين فصاعداً - وهي غير الجسم - فمن الأحرى أن تكون غير جوهر، وإذا لم تكن جوهراً ولا جسماً استحال أيضاً أن تكون عَرَضاً، لما كان الأعراض لا تثبت ولا توجد إلا مع الأجسام والجواهر، وقد بطل حكم الجسم والجوهر والعرض، فبطل التركيب والمماسة والمجاورة والاتصال والانفصال.

فإن أطلق عليها: أنها مواصلة للبدن أو مفاصلة بالموت، فإطلاقٌ صحيح على الوجه الذي يليق به، وهو مواصلة التدبير ومفارقته بتعاصي الآلات بالموت من قبول التدبير.

وإذا انتفى عنها الجوهرية والجسمية والعَرَضية، انتفت عنها بالضرورة العقلية جميع صفات الأجسام والجواهر والأعراض، من فوق، وتحت، وأمام، ووراء، وحذاء، ويمين، ويسار، وفي، وإلى، وعلى، وعند،

---

(١) البيهقي في «الأسماء والصفات» بإسناد ضعيف.

والحركة، والسكون، والظهور، والكُمُون، والمساحة، والمقدار، والكيف، والأين، وكل ما يجري على الجواهر والأَجسام من الأوصاف، فما أطلق عليها بعد ذلك لضرورة التعريف، افتقر في فهمه إِلى التأويل والتصريف.

فقد لزمك أيها المخدوع بالغرور، إِثبات موجود حقيقي الوجود، خارجاً في وجوده عن كل ما يدرك في الشاهد، من الأَجسام والجواهر والأَعراض.

فكيف يمكنك بعد هذا إِنكار شيء زائد على الأَجسام؟! فإِن تعاميتَ أنت بعد الإِبصار؛ ولزمتَ المكابرة والإِنكار، وجمدت إِلى الاستنكاف والاستكبار، وتبعت بجمودك في التقليد: الهوىٰ، وركبتَ ظهر اللجاج والاصرار، فقد ذهب في حقك الإعذار، وانقطعت حجتك بالإِعذار والإِنذار، فيوشك أن تكون من أهل النار.

وعند ارتفاع نور النفس عن ظاهر الجسم، وعدم تدبيرها له بالموت، يأتيك تأويل ما كذَّبتَ به، وقد أُوضحت لك؛ فتقول حين تشاهد ما لم تسمح بتسليمه؛ بل تثبته مُطرحاً له بركونك إِلى تقليد الغافلين، ومتابعة الجاهلين: ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣].

كما أخبر الله سبحانه عنك وعن أمثالك بقوله:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ، فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ كُنَّا نَعْمَلُ، قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف٥٣].

## [ما بعد الموت]

وما أخوفني عليك أن تكون ممن خسر نفسه، وإنما يتبين لك الخسار

عند الانتباه من نومك، فإن «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا[1]»، وعند الانتباه يظهر تأويل الرؤيا، فيؤول لك ما لزمت ظاهره في عقلك بأحسن تأويل، ويبدو لك ضدُّ ما احتسبت، ويضل عنك ما إليه ذهبتَ:

﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

ويتلو عليك الموت: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [قٓ: ٢٢] وذلك حين تأتي سكرة الموت بالحق، الذي كنت منه تحيد، وتميل عنه إلى التقليد.

وينفخ في الصور، وهو قرن فيه ثقب بعدد أنفاس الخلائق، فيصعق العالَمُون من صوته، كلُّ نَفْسٍ لها ثقب فيه تُصعق، إن لم تكن صُعقت، والنافخ فيه: إسرافيل، ويقوم الرُّوح صفاً، والملائكة صفاً، ويأتي الله في ظُلَلٍ من الغمام والملائكة، وهذا كله ما ينكشف لك سره، ويبدو لك تأويله، إذ قد وَعَدْتُ بكشف تأويله لك، ولا جائز أن ينكشف لمثلك دون أن تأتي سكرة الموت وهو الذي كنت منه تحيد، وينفخ في الصور لِصَعْق الخَلْق.

ثمَّ ينفخ فيه أخرى لقيامهم ينظرون، ماذا أراد منهم الحق؟ ذلك يوم يجمع الكُلّ، فتُجمع أجزاء الخلق، ويُنشئهم الله عزَّ وجلَّ نشأة أخرى، كما وعد تعالى، ويكون الحشر كله على قدم آدم وعقبه، إذ هو أبو البشر، وعلى صورته وشكله يُجمعون ويُحشرون وكذلك إلى أبيهم وأُمِّهم يُجمعون:

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١] فهذان أصلان كليان للعالم الإنساني، أبا وأماً، آدم وحواء: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً

---

(١) السخاوي في «المقاصد الحسنة» (٤٤٢) وقيل: هو من المأثور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

﴿كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

جزءاً أولادهم، فالإنس إلى آدم وحواء مجتمعون، وإليهما ينتسبون، وهي الطينة البشرية التي عجنها بيده، وخمرها، وسوّاها، ونفخ فيها الروح، وأسجَدَ لها الملائكة صفاً صفاً: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحِجْر: ٣٠ صَ: ٧٣] وآدم مقابلهم، لأنه نفخ فيه من الروح التي هي من أمر الله[1].

والنفخ: إحداث وجود آدم، لم يكن بالروح مُحْدَثاً، وليس ثَمَّ قديم إلّا الله وحده، ولا أقول: وصفاته، لأن صفاته ليست غيره فأفصلها منه، ولا هي هو، فأفردها بالذكر دون جَعْلها له، فهي له، لا هي هو، ولا هي غيره، وقد سبق القول فيما هذا سبيله.

فحينئذ يجمع الصفوف، الملائكة والروح صف إذا جمعت جعلها له، والجنُّ صف، وهم من مارج من نار، والشياطين صف خارج عن الجن، والملائكة فيما بينهما، يقدمهم عزازيل ـ وهو إبليس آدم، وضده وقرينه ـ وهو أكبر الشياطين، لأن عزازيل في جنوده بمنزلة آدم في ذريته.

فلما كان آدم أبو البشر هو أصلاً لهم، وكل ما ظهر عن آدم من ولد ـ ذكراً أو أنثىً ـ أظهر عزازيل له قريناً من أبنائه، فعدد الأصلية بعدد بني آدم، والمتولدة بعدد الأملاك الذين يكتبون أعمال العباد مَلَكُ اليمين، وملك اليسار، ووراء هذا غور عميق ينكشف لك يوم يأتي تأويله! فالويل لمن دام إلى ذلك الوقت، وطوبى لمن انتبه، لأنه لا يستنبه إلا بموت، هو إعراض النفس عن الاشتغال بالصور لأنه لا يستنبه إلا بموت، هو إعراض النفس عن الاشتغال بالصور والأجسام، بالإقبال على الله سبحانه بالتولي نحو وجهه هو أينما وليت، فكل من ولّى إليه فثَمَّ وجهه: ﴿وَذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: ٣٨] لا وجه

---

(١) انظر فصل «عيسى المسيح انسان» وقارن، هنا: «الروح التي هي من أمرِ الله».

أبنائهم؛ فكلٌّ معرض عن الله مشتغل بغيره، فإلى وجه الحادث نظر، وهي ظلمات بعضها فوق بعض، فوجهه منصرف عن الله سبحانه، ومعوج بقدر إعراضه عنه، فإن كان كلمح البصر كان كالحَور في العَيْن، وإن كان بأكثر البصر كان كالحَوَل في العين، وإن كان بلفتة يسيرة كان كالقوة.

وإن كان إعراضاً وإدباراً كانَ بمنزلة الموَلِّي المُدْبر، وذلك الذي يؤتىٰ كتابه من وراء ظهره، وهم الذين نسوا الله فنسِيَهم، فأنساهم أنفسهم!.

فمن أقبل على الله تعالى، أعرض عن نفسه، ومن أعرض عن نفسه فقد حصل عنده معنى الموت، وهو ترك التفات النفس إلى المحسوسات والصور، ونظرها إلى عالَم الملكوت، فسلوك صراط الله سبحانه، والوفاء بعهده في الرجوع إليه، والاعتراف بالربوبية، والقيام بحقوقه من مفارقة الأخلاق المذمومة، والتحلّي بالأخلاق المحمودة، فإذا اتصف بها صح له الرجوع إلى الله سبحانه، ومن رجع إلى الله سبحانه أرضاه ورضي عنه: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨].

ومن رجع إلى الله سبحانه في الدنيا، فهو راجع إليه في العقبى رجوع رضا، لا رجوع كره.

كذلك الموت، موتان: موت طبيعي، وهو نزع النفس من الجسم كُرهاً، لتشبثها به عشقاً له، وسكوناً إليه، فهي تُنتزع مكرَهة فلا جَرَمَ أنها لا تخرج إلا بالخطاطيف والكلاليب، حتى تنقطع أوصالها، وتزول علاقتها معه، وهذه موتة طبيعية.

وموت إرادي، وهو: ترك النفس لمساكنة الجسم والتنزه عن عشقه، والاستغراق في حبه، واستعماله في مصالح الآخرة، فهذه موتة إرادية، لا يموت صاحبها بعدها أبداً، لأن الخوف من الموت وألمه بقَدْر المحبوبات، وعذابه بقَدْر تعلق النفس بالشهوات، وعكوفها على اللذات،

وعشقها الغالب الذي تستعين به على إدراك المطلوبات، وتقضي به أوطار الدنياويَّات، فإذا زال موجب الألم، سقط الألم، ولم يكن له أثر، وإذا لم يكن ألم، لم يكن خوف، وإذا لم يكن خوف كان أمن، وإذا كان أمن كان استبشاراً وبشرى، وإذا كان استبشاراً وبشرى أحب العبدُ لقاء الله عزَّ وجلَّ:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس : ٦٢].

«وَمَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله، أَحَبَّ الله لِقَاءَهُ»[١]، فهذا شاهد لما يقدم عليه، ومن شاهد ما أُعِدَّ له فهو شهيد، والشهيد ليس بميت، والشهادة بجهاد النفس إلى أن يُميتها عن حظوظها، أكبر رتبة عند الله سبحانه وتعالى من الشهادة المورثة لقتال الكفار، وحطم السيوف. «رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَىٰ الْجِهَادِ الأَكْبَرِ»[٢].

وذلك الجهاد خطر، قلَّ من يسلم له فيه النية. فهو على ظن غير متيقن من الشهادة، وهذا إذا وصل إلى هذه الرتبة على يقين؛ والموت الإرادي إثابة، والموت الطبيعي عقوبة، ومن مات موتة إرادية، انتبه قبل الموت الطبيعي، ومن انتبه أبصر بغير تأويل، الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، ومن أبصر قال: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، فاطلبوا اليقين من الله سبحانه بإماتة نفوسكم، وإحياء قلوبكم، لترقَوا الفردوس الأكبر والملك العظيم.

* * *

**تم الكتاب بحمد الله تعالى ونعمته**
**والحمد لله رب العالمين**

---

(١) قطعة من حديث رواه مسلم في الذكر (٢٦٨٤).
(٢) انظر «كشف الخفاء» وهو ضعيف.

## مراجع ترجمة المؤلف

«وفيات الأعيان»: لابن خلكان ١/ ١٧١

«الكامل في التاريخ»: لابن الأثير ١١/ ٢٠٠

«مرآة الزمان»: لسبط ابن الجوزي ٨/ ٣٧٠

«العبر»: للذهبي ٤/ ٢٣٣

«الوافي بالوفيات»: للصفدي ٧/ ٢١٩

«البداية والنهاية»: لابن كثير ١٢/ ٣١٢

«عقد الجمان»: للعيني ١٦ الورقة ٦٥١

«شذرات الذهب»: لابن العماد ٤/٢٥٩

«طبقات الأولياء»: للشعرائي ١/ ١٢١

«نور الأبصار»: ٢٢

«نور بهجة الصدق في ذكر سلالة الغوث الرفاعي»: لمحمد القلبقبي ٣٣٦ـ ٤٣٦

«تنوير الأبصار»: للصيادي ٣ـ ٢٥

«جامع الكرامات»: للكوهن ٧٧، ٧٨

«العقود الجوهرية»: لصالح المنير.

«معجم المطبوعات»: لسركيس ٩٤٧ـ ٩٤٨.

«برو كلمان» في تاريخ الأدب العربي : الذيل ١/ ٧٨٠.

«سير أعلام النبلاء»: للذهبي ٢١/ ٧٧.

«معجم المؤلفين»: لكحالة ٢/ ٢٥.

«الأعلام»: للزركلي ١/ ١٧٤.

# الفهارس العامة

فهرس الأحاديث الشريفة والآثار

فهرس الأعلام والأسماء المشهورة

فهرس الكتاب العام

## فهرس الأحاديث الشريفة والآثار


ـ أ ـ

الإحسان أن تعبد ٤٣

أحسن الحسن الخلق ٩١

اذكر الله حتى يقولوا ٥٢

ارفعوا أيديكم وقولوا ٥٨

أصحابي كالنجوم ٢٨

اعبد الله كأنك ١٠١

أغمض عينيك ٥٨

أفضل ما قلت أنا ٥٨

أفلا أكون عبداً ٤١

ألا وإن في الجسد ٣٣

أنزل القرآن على ١٤١

إن أخوف ما أخاف ٧٠

إن أشد الناس ١٠٧

إن أول ما خلق الله ٥٣

إن الله خلق الأرواح ١٤٧

إن الله خلق الخلق ١٢٨

إن الله ليغار ٦٦

إن الله يحب ١٠٦

إنما الأعمال بالنيات ٢١، ٢٦

أوصيكم بتقوى الله ٢٩

ـ ب ـ

بني الاسلام على ٢٦

ـ ب ـ

التجافي عن دار الغرور ١٣٧

تعس عبد الدينار ٩٩

تفكروا في خلق ١٢٠
- ح -
حب الدنيا رأس ٦٠، ١٠٦
- د -
الدنيا سجن المؤمن ١٣٠
الدين النصيحة ٢٦
- ر -
رب أشعث أغبر ١٠٢
رجعنا من الجهاد ١٥٣
رؤيا المؤمن جزء ١٢١
- ص -
صدق الله وكذب بطن ٩٤
- ع -
العلماء ورثة الأنبياء ٧٢
- ك -
كلنا عارٍ إلَّامن ٣٦
كل يوم لا أزداد ١٢٥
- ل -
لا أجر له ٢١، ٢٢
لا أحصي ثناء عليك ١٢٤، ١٢٦
لا إله إلا الله ٥٦
لا يأمر بالمعروف ولا ٨٧
لا يؤمن أحدكم ٢٨
لست بملك ٣٨
الله الله في أهل ٢٩
اللهم إني أعوذ بك ٤٧
- م -
ما أسرَّ عبد سريرة ١٠٦
ما أنا بقارىء ١٤٦
ما بال أقوام ١١٧
ما من قوم ٨٦
مثل القائم في حدود ٨٦
المرء مع من أحب ٢٩، ٦٢
مروا بالمعروف وان ٨٧
المسلم من سلم ٣٥
من آذى لي ٣٠
من أحب لقاء ٦٠، ١٥٣
من ذكرني في ٥١
من سنَّ في الإسلام ٧٨
من عمل بما يعلم ٧٢
من يرد الله به ٧٥
المؤمن الذي يخالط ٨٧
- ن -
الناس ينام فإذا ٥٠
- هـ -
هل فيكم غريب ٥٨
هو نور يقذفه ١٣٧
- ي -
يا بنت أبي بكر ذريني ٤١
يحشر الله العباد ٧٠

# فهرس الأعلام والأسماء المشهورة


- أ -

آدم (عليه السلام) ٨١، ١٣٤، ١٣٥، ١٥٠، ١٥١

إبراهيم (عليه السلام) ٨١

إبراهيم بن محمد النصر أبادي ٧٩

ابليس ٨١، ١٥١

أبو بكر الصديق ٣٠، ٦٧

أبو الجارود العبسي ٦٩

أبو حنيفة النعمان ٢٥

أبو يزيد البسطامي ٧٤، ٧٥، ٧٩

أحمد بن حنبل ٢٥، ٧٤

اسرافيل ٦٥، ١٥٠

- ج -

جابر بن عبد الله ٦٩

جبريل عليه السلام ٦٦، ١٤٤، ١٤٥

جعفر الصادق ٢٥

الجنيد البغدادي ٤١، ٧٩

- ح -

الحارث بن أسد المحاسبي ٧٤، ٧٥

الحسن بن يسار البصري ٤٠، ٨٠

حسين صعبية ١٠٥

الحسين بن علي بن أبي طالب ١١٩ ١٢٠

الحسين بن منصور= الحلاج ٣٧، ٧٤، ٧٩

الحلاج = الحسين بن منصور

حواء ١٥٠، ١٥١

- خ -

الخطيب البغدادي ٦٩

- د -

داود (عليه السلام) ٤٢

داود بن نصير الطائي ٨٠

- ر -

رويم ٣٢

- س -

سعيد بن المسيب ٤٠

سليمان (عليه السلام) ٧٨

سهل التستري ٣٣، ٤٠

- ش -

الشافعي ٥٣، ٧٤، ٧٥

شداد بن أوس ٥٨

- ع -

عائشة ٤١

عبد الله بن أنيس ٦٩، ٧٠

عبد الله بن عباس ٥٢

عبد الملك الخرنوتي ٧٠
عثمان ذو النورين ٢٨
عزازيل ١٥١
علي بن أبي طالب ٢٨، ٥٠، ٥٢، ٥٤، ٥٨، ٨٥، ١٥٠
علي الواسطي (أبو الفضل) ٦٩، ٨٠
عمر بن الخطاب ٢٨، ١٤٢
عيسى (عليه السلام) ١٠٢، ١٣٤، ١٣٩، ١٥١

ـ ف ـ

فرعون ٦٤، ٨١

ـ ق ـ

قارون ٦٤، ٨١

ـ م ـ

المأمون (الخليفة العباسي) ٨٧
مالك بن أنس ٢٤، ٧٤، ٧٥
مريم (عليها السلام) ١٣٥
مضر (قبيلة) ٣١
معروف بن فيروز الكرخي ٨٠
منصور البطائحي ٤٤، ٤٧، ٧٩
موسى (عليه السلام) ٥١، ٦٨، ٨١، ١٣٦

ـ ن ـ

النعمان = أبو حنيفة ٧٤

ـ هـ ـ

هامان ٦٤

ـ ي ـ

يوسف (عليه السلام) ٥١، ٨٢
يونس (عليه السلام) ٨١

# فهرس الموضوعات


| | |
|---|---|
| مقدمة المؤلف | ٢١ |
| الزهد والإخلاص والتقوى | ٢١ |
| أركان الإسلام والإيمان | ٢٦ |
| الإيمان بالله تعالى | ٢٢ |
| الطريق إلى الله تعالى | ٢٧ |
| فضل الصحابة | ٢٨ |
| فضل أهل البيت | ٢٩ |
| أولياء الله تعالى | ٣٠ |
| صفة الصوفيين | ٣١ |
| عيوب النفس | ٣٢ |
| صنفة الواعظين التواضع | ٣٤ |
| شطحات المتصوفين | ٣٧ |
| التحذير من البدع | ٣٩ |
| من آداب الصالحين | ٤٠ |
| التحذير من الدنيا | ٤٢ |
| صفة الدعاة | ٤٣ |
| نداء إلى المتصوفين | ٤٨ |
| من صفات الصالحين | ٥٢ |
| التفكير في مخلوقات الله | ٥٦ |
| مجالس الذكر والذاكرين | ٥٩ |
| الراقصون ليسوا بذاكرين | ٦١ |
| حال السالكين | ٦٣ |
| صلاح القلوب | ٦٤ |
| الشرع أحق أن يتبع | ٦٨ |
| القصاص والعبودية | ٦٩ |
| طريق الفقهاء والعلماء | ٧٢ |
| علماء الشريعة هم ورثة | ٧٤ |
| كيف كان النبي ﷺ | ٨٠ |
| أخلاق السالكين | ٨٢ |
| الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر | ٨٥ |
| الفلاح باتباع الرسول ﷺ | ٨٨ |
| الحض على اتباع الرسول ﷺ | ٨٨ |
| ذكر الموت | ٨٩ |
| المجالسة والصحبة | ٩٠ |
| الدين أهم من الشطحات | ٩٣ |
| أين الذين مضوا؟ | ٩٥ |
| حال الإنسان تدل عليه | ٩٦ |
| الشكر والتوكل | ٩٧ |
| العبد التعيس | ٩٩ |
| الطريق إلى الله | ١٠٠ |
| الاخلاص طريق الوصول | ١٠١ |
| خلاصة الشريعة الاسلامية | ١٠٤ |
| الولي يخفي كرامته | ١٠٤ |
| نجاة المرء بعمله | ١٠٦ |

حفظ الوقت والفكر ١٠٧
الموت حق ١٠٩
لا تشتغل بمالا يعنيك ١١٠
صلاح القلوب ١١٢
حقيقة الصوفية ١١٣
طريق الصوفية الصحيح ١١٥
شهادة التاريخ ١١٩
أخلاق الأنبياء ١٢٠
لم يكن له كفوًا أحد ١٢٣
ليس كمثله شيء ١٢٤
معنى النور والظلمة ١٢٧
ظلمات بعضها فوق بعض ١٣١
عيسى المسيح انسان ١٣٤
النبوة والإيمان بها ١٣٦
الدنيا والآخرة ١٤٠
القرآن الكريم وحجب المعرفة ١٤١
دعوة إلى الانتباه ١٤٧
الروح ١٤٧
ما بعد الموت ١٤٩
الفهارس العامة ١٥٥